

الفصل التاسع

هجرة السكان وتنقلاتهم

يعتبر الإنسان أوسع الكائنات الحية انتشاراً ، فالنوع البشرى على عمر التاريخ لم يثبت فى بيئة واحدة ولم يستقر فى مكان واحد ، ونراه إذا ما انتقل إلى بيئة ما ، فإنه يلجأ إلى الانسجام أحياناً مع مقتضيات هذه البيئة ، أو أنه يعمل على التغيير والتبديل فى هذه البيئة حتى تلائم حاجاته ومطالبه .

وهكذا استوطن الجنس البشرى كل أطراف المعمورة ، فهو شغوف منذ حياته الأولى ، بالتنقل والحركة وكثرة التجول . غير أن هذا الإنسان لا نراه ينتشر فى كل بقاع الأرض بدرجة واحدة ، بل إنه حينما يستطيع أن يوفر لنفسه الرزق الوفير ، والخير الكثير ، يتكاثر ويتكاثر عدده ، ومن هنا كان توزيع الإنسان على بقاع الأرض توزيعاً غير منتظم . وانتقالات السكان على نوعين :

١ - انتقالات داخل حدود الدولة الواحدة ويطلق عليها الهجرة الداخلية

٢ - انتقالات من دولة إلى أخرى وتعرف بالهجرة الخارجية ،

والهجرة سواء كانت داخلية أم خارجية فإن الباعث عليها هو رغبة الإنسان فى تحسين حالته .

(أولاً) الهجرة الداخلية :

وهى الهجرة التى يقوم بها أفراد الوطن الواحد إلى الجهات التى تنوفر فيها أسباب الكسب والرزق ، وقد يكون ذلك لفقر بيئاتهم المحلية أو لاكتظاظها بالسكان وما يتبع ذلك من انخفاض الأجور أو تفشى البطالة . وكانت أوضح مظاهر الهجرة الداخلية فى العصر الحديث انتقال أعداد كبيرة من أهل الريف إلى المدن ، وكان ذلك على أثر الانقلاب

الصناعى وما تطلبه من وفرة الأيدى العاملة فى بلاد كالولايات المتحدة الأمريكية كان سكان الريف حوالى ٨٧ ٪ فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ولكن حالما شهدت هذه البلاد بؤادر الثورة الصناعية نقصت نسبة سكان الريف الأمريكى إلى ٦٥ ٪ تقريباً فى أوائل القرن العشرين .

وفى إنجلترا كان سكان الريف عام ١٨٥٠ حوالى ٤٩ ٪ ثم تناقص بعد ذلك بسرعة لم يسبق لها مثيل فى أى بلد آخر إذ أصبحت هذه النسبة ٢٨ ٪ فى عام ١٨٩٠ ، ٢١ ٪ فى عام ١٩١٠ ثم ٢٠ ٪ فى عام ١٩٣٠ ولا يزال سكان الريف فى تناقصهم المستمر نتيجة الهجرة إلى الحضر .

وفى فرنسا كان سكان الريف يبلغون ٧٥ ٪ من المجموع الكلى للسكان فى أواخر القرن التاسع عشر فنقص هذا العدد إلى النصف تقريباً فى مطلع القرن العشرين .

وقد لوحظ هذه الظاهر بصورة عامة فى كل البلاد التى شملتها الثورة الصناعية مثل ألمانيا وإيطاليا وروسيا ^(١) .

أسباب الهجرة من الريف إلى المدن :

١ - انهيار النظام الإقطاعى وتحرر الفلاحين من رق الأرض .
فتعرفت لهم الحرية فى الانتقال والإقامة حيثما يريدون ، وكانت إنجلترا وألمانيا من أسبق الأمم التى شهدت انهيار النظام الإقطاعى ، وكان تحرر الفلاحين فى الدولتين من الأسباب التى ساهمت فى الهجرة من الريف إلى المدن .

٢ - أدى سوء توزيع الملكية الزراعية فى بلاد أخرى كفرنسا

وأسبانيا ودول وسط أوروبا إلى هجرة أهل الريف إلى المدن سعياً وراء رزق أوسع ، ومستوى مادي أعلى .

٣ — الثورة الصناعية وما كانت تتطلبه من أيدي عاملة كثيرة أدت إلى جذب سكان الريف وتركيزهم حول المناطق الصناعية ، وقد اشتدت الهجرة إلى المناطق الصناعية ، خصوصاً بعد صدور تشريعات عمالية أدت إلى تحسين حال عمال الصناعة والتجارة في المدن ، وقضت على المساوىء التي صاحبت العهود الأولى للثورة الصناعية في أوروبا .

٤ — قيام الحكومات بتنظيم المدن وتنسيق الخدمات فيها والقيام بأعمال الرعاية الاجتماعية . وغنى عن الذكر أن استئثار المدن بهذه الخدمات جعلها هدفاً للمرجات متتالية من الهجرة الداخلية وللكثير من الجماعات النازحة من الريف رغبة في التمتع بهذه الخدمات والمزايا .

٥ — اتخذ المدن كمراكز إدارية وتجارية واجتماعية وثقافية فامتازت بنشاطها العمراني ، ولذلك أصبحت مهبطاً لأصحاب الأعمال والمصالح ورجال التعليم والمهنيين على الشؤون العامة في المجتمع .

٦ — ازدخار المدن بحياة الترف ومظاهر التدين والتحضر ، ففيها دور السينما والمسرح ، وفيها المقاهي والأندية ودور التسلية والترفيه ، كما تتوفر فيها ضروب شتى من اللذات والمتع غير البريئة لمن يطلبها ، وفيها الحدائق والعمارات السكنية المريحة ووسائل المواصلات السريعة . . . الخ فلا عجب أن تصبح حياة المدينة مطلباً لكل إنسان يؤثر حياة الترف .

٧ — أن التشريعات العمالية بما تؤدي إليه من تحسين حال المتمتعين بأحكامها كانت مقصورة في أول الأمر على عمال الصناعة والتجارة ، دون العمال الزراعيين .

ولا شك أن هذا النزح من الهجرة يؤثر تأثيراً كبيراً في الحياة الاقتصادية

والاجتماعية ، فازدحام المدن بالسكان يثير كثيراً من المشكلات . كمشكلة السكن والصحة العامة والمواصلات . الخ . كما يؤدي تركز العمال في المدن إلى إيجاد بيئة صالحة لنشر الأفكار النورية ، هذا إلى وجرد فريق كبير منهم بدون عمل يصبح خطراً يهدد الأمن العام .

(ثانياً) الهجرة الخارجية :

وهي على ثلاثة أنواع :

١ — فصلية : وهي التي تحدث أثناء فصل معين من فصول السنة ، والعودة بعد انتهائها ، كهجرة العمال الزراعيين الإيطاليين إلى فرنسا في فترة الحصاد وجمع الكروم ، ورجوعهم إلى بلادهم بعد انتهاء مواسم الحصاد .

٢ — وقتية : وهي التي لا تحدث في فصل معين ولكن العامل ينتقل ويمكنه في الخارج سعياً وراء الرزق لمدة تطول أو تقصر ، بغية العودة . إلى بلاده ثانية ومن أمثلتها هجرة الفلانة في السودان .

ولا يعتبر هذان النوعان من الهجرة ذات أهمية كبرى في الناحية الديموجرافية السكانية وإنما الهجرة التي لها آثار إيجابية هي :

٣ — الهجرة الدائمة :

وفيها يقصد المهاجر إلى ترك وطنه الأصلي نهائياً والاستقرار في الدولة المهاجر إليها . والهجرات الدائمة قديمة قدم التاريخ بل هي سابقة للعصور التاريخية ، وأكثر شعوب الأرض اليوم يرجع أصلها إلى هجرات قديمة أو هجرات في العصور التاريخية الوسيطة والحديثة .

والهجرة الدائمة قد تكون فردية أو جماعية عضوية أو منظمة . فقد تكون الهجرات بمقتضى اتفاقات دولية ، كتبادل السكان بين تركيا

واليونان ، وإيطاليا وألمانيا عقب الحرب العالمية الأولى . وهناك ما يعرف بالهجرات الجماعية مثل تلك التي تمت خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها في أوروبا الوسطى والشرقية واتخذت أحيانا شكل الاجلاء أو الطرد وخلقت في العالم مشكلة اللاجئين .

ومن الهجرات الدولية تدفق الأوربيين على أمريكا وأستراليا بعد اكتشاف الذهب فيهما . ويقدر عدد المهاجرين إلى أمريكا منذ بداية القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى بخمسين مليونا .

مصر (ثالثا) الهجرة القسرية :

وهي الهجرة التي يجبر عليها الأفراد قسرا ، ومن أوضح الأمثلة على هذا النوع من الهجرة تلك التي تعرض لها اليهود خلال فترات التاريخ فمثلا قام الملوك « فيروز ، و « قباب ، و « انوشروان ، في القرنين الخامس والسادس باضطهاد اليهود ، وفي سنة ٥٨١ طردوا نهائيا من فارس ، ما عدا فئة قليلة منهم اعتنقت الإسلام :

وقد اضطر الملك « فيليب ، إلى طرد اليهود من فرنسا بعد أن جمعوا ثروة الشعب الفرنسي في أيديهم ، وقد تم طردهم نهائيا من فرنسا خلال عام ١٣٩٤ على يد الملك شارل .

ومن الأمثلة على الهجرات القسرية أيضا نفى المجرمين من بريطانيا إلى أستراليا كما كانت فرنسا إلى أجل قريب تنفي مجرميها إلى « غينيا » ، وكذلك يدخل ضمن هذا النوع من الهجرة نفى الروسيين الأحرار إلى سيبيريا في العهد القيصري ، وكذلك نقل الزوج عنوة من أفريقيا إلى أمريكا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر للاستفادة منهم في أعمال الزراعة والتعدين وعاصة في الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة الأمريكية .

ويمكن أن يعتبر من الهجرات القسرية اضطراب الأفراد أو الجماعات إلى ترك موطنهم بسبب أحداث طبيعية قاهرة كالجفاف أو الطوفان أو تبدل المناخ .

وبين الهجرات القسرية والطوعية حالات تمت إلى النوعين معا . فهجرة الجزائريين إلى فرنسا مثلاً يحملهم عليها تعذر سبل الرزق وانخفاض مستوى المعيشة في بلادهم نتيجة لخطط الفرنسيين المستعمرين .

والسبب الأول لتبديل الموطن هو الرغبة في الإثراء أو على الأقل الحصول على دخل أكبر مما كان في الوطن الأصلي . إلا أن العامل الاقتصادي لا يعلل وحده جميع الهجرات التي شهدتها الإنسانية . فكثيراً ما يهاجر الأفراد أو الجماعات أو يطردون بسبب فقدان التلاؤم مع المحيط الاجتماعي سياسياً أو اتنولوجياً أو دينياً . فقد كانت العوامل الدينية هي التي اضطرت المسلمين الأوائل إلى ترك مكة إلى المدينة ، وإلى هجرة البروتستانت إلى أمريكا بعد حركة الإصلاح الديني ، وإلى فرار المسلمين من الأندلس . وكانت العوامل السياسية والمذهبية هي الدافع في ترك كثير من الروس البيض بلادهم بعد اعتنائها الشيوعية كما كانت هذه العوامل هي الدافع في ترك الديمقراطيين الإسبان بلادهم والتجأهم إلى فرنسا بعد انتصار فرانكو (١٩٣٨ - ١٩٣٩) وقد تمتد العوامل الاتنولوجية والدينية معاً فتسكرون دافعاً قوياً للهجرة كطرد العرب واليهود من أسبانيا بعد ضعف الحكم العربي فيها ، وكذلك طرد الأرمن من تركيا بعد الحرب الأولى ، وإجلاء الألمان عن منطقة السوديت في تشيكوسلوفاكيا بعد الحرب العالمية الثانية .

ومع ذلك فإن العامل الاقتصادي يظل أقوى العوامل في الهجرات وكثيراً ما دعت إليها حكومات البلاد المهاجر إليها وسهلت سبلها بمختلف وسائل الدعاية والتشجيع ، وخاصة في أعقاب الحروب .

والملاحظ أن الهجرة تكون في الغالب من البلاد الزراعية ذات الضغط الشديد بالسكان إلى بلاد أقل سكاناً وأغنى بالموارد الأولية ، كهجرة الهنود إلى جنوب إفريقيا ، وهجرة السوريين واللبنانيين إلى الأمريكيتين ، وكذا هجرة اليابانيين إلى منشوريا .

والبلاد الصناعية هي الأخرى وفي أحيان قليلة قد ترسل المهاجرين إلى بلاد أخف ازدحاماً بالسكان كما هو الحال في إنجلترا التي لم يتزايد عدد سكانها المقيمين على الجزر البريطانية منذ ربع قرن وذلك بسبب موجات الهجرة الدائمة الخارجة منها إلى استراليا وكندا ونيوزيلندا .

وأحيانا تفتقر أو تعاني البلاد الصناعية قلة في الأيدي العاملة ، فتشجع الهجرة إليها ، وهذه الظاهرة واضحة كل الوضوح في فرنسا التي تستقبل على الدوام أفواج المهاجرين من المغرب العربي ومن بولندا وبلجيكا وإيطاليا لتشغيلهم في المناجم أو في الأعمال الشاقة وخاصة تلك التي يحجم عنها الفرنسيون . وقد بلغ عدد الأجانب الذين وفدوا إلى فرنسا للإقامة فيها بصفة دائمة حوالى ثلاثة ملايين نسمة وكان ذلك في سنة ١٩٣٨ . ويورد العلامة P. George في كتابه :

« Introduction à l'étude géographique de la population du monde, p. 272.

يورد الإحصائية التالية عن عدد الأجانب المهاجرين إلى فرنسا في عام ١٩٣٨ :

الجنسية الاصلية	العدد
إيطاليون	٨٥٠,٠٠٠
إسبانيون	٦٥٠,٠٠٠
بولونيون	٥٠٠,٠٠٠
بلجيكيون	٢٠٠,٠٠٠
سويسريون	٨٠,٠٠٠
روسيون	٧٠,٠٠٠
ألمانيون	٧٠,٠٠٠
برتغاليون	٤٨,٠٠٠
تشيكوسلوفاكيون	٤٠,٠٠٠
بريطانيون	٤٠,٠٠٠
أتراك	٣٥,٠٠٠
أرمن	٢٩,٠٨٠
ألمانيون	١٦,٠٠٠
هنغاريون	١٥,٠٠٠
زنوج إفريقيون	{ ٥٠,٠٠٠
مهاجرون	
متنوعون	
جزائريون	{ ٥٠٠,٠٠٠
مراكشيون	
تونسيون	
المجموع	٣,١٩٢,٠٠٠

وهكذا تصل نسبة الأجانب المتوطنين في فرنسا إلى ٨ ٪ من مجموع السكان تقريبا .

وهناك مثال آخر يورده نفس المؤلف في نفس المرجع ص ٢٧٤ عن بلد أريد سكانه القدماء تقريبا ، وتسكن سكانه الحاليون نتيجة الهجرات المتكاثفة . هذا البلد هو الولايات المتحدة الأمريكية .

البلاد العربية والهجرة

شهد الوطن العربي الكبير ضروبا شتى من الهجرات الداخلية والخارجية على مدى التاريخ ، وبعيننا الآن أن نتعرف على الهجرات العربية الحديثة . ويلاحظ بصفة عامة أنه فيما يختص بالهجرة شهد العالم العربي ظاهرتين واضحتين كل الوضوح أولهما أن قطاعات من هذا العالم العربي قد استهدفت لهجرات وفدت إليها من الخارج بصورة منظمة ومقصودة أكثر منها عفوية أو وقتية ، وبصورة مرسومة هي أقرب للعدوان المستتر أو الاستعمار التدريجي منها مجرد سعى تلقائي وراء الرزق أو زيادة الكسب . وهذا النوع من الهجرة المنظمة استهدف بوجه خاص قطاعين من أهم قطاعات العالم العربي ، وهما فلسطين والجزائر ، هذا عدا هجرات خارجية طبيعية وفدت على الإقليم المصري منذ أواخر القرن التاسع عشر واستمرت إلى الربع الأول من القرن العشرين .

أما الظاهرة الديموجرافية الثانية الواضحة كل الوضوح فيما يختص بالهجرة في العالم العربي . فهي مهاجرة أعداد كبيرة من بلاد الشام وخاصة سورية ولبنان إلى خارج العالم العربي وبخاصة إلى الأمريكتين واستوطنهم هناك ، وقد عرف هؤلاء فيما بعد باسم المغتربين العرب Arab Emigrants .

وسنتكلم عن هاتين الظاهرتين بتفصيل أكثر في الفقرات التالية :

١ - تيار الهجرة الخارجية إلى فلسطين

استهدفت الحركة الصهيونية استيطان اليهود أرض فلسطين ، وقد بدأت الحركة خلال السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر .

وكان أول تحقيق عملي لفكرة الاستيطان اليهودي في سنة ١٨٣٧ على يد اليهودي « مرسى مونتفيور M. Montfiore » الذي أنشأ أول مستعمرة يهودية في أرض فلسطين التي كانت أبان ذلك الوقت تحت الحكم المصري واستطاع مونتفيور أن يحصل على ضمانات من الدولة العثمانية بالحماية والإميازات وذلك بعد زوال حكم صديقه محمد علي .

على أن الهجرة اليهودية بدأت تأخذ شكلها المنظم في أواخر القرن التاسع عشر بعد ظهور الصعبي النمساوي « تيودور هرتزل Hertzl » فحتى منتصف القرن التاسع عشر لم يزد عدد اليهود في فلسطين عن ١١,٨٠٠ نسمة ووصل في سنة ١٨٨٢ إلى ٢٤,٠٠٠ نسمة . إلا أنه لم تذكر كتابات اليهودي هرتزل تظهر في الوجد و خاصة كتابه « الدولة اليهودية Jewish State » حتى بدأت وفرد الهجرة تترى على أرض فلسطين وخاصة بعد أن رعاها بالمال والعتاد اليهودي الرأسمالي « آدمون دي روتشيلد » .

ويمكن تقسيم توافد اليهود على أرض فلسطين إلى عدة موجات ، الأولى تبدأ من سنة ١٨٨٢ وتنتهى سنة ١٩٠٣ ، وفي هذه المرحلة تأسست مستعمرات ثلاث ،

وبلغ عدد اليهود الذين وفدوا على فلسطين في هذه المرحلة حوالى ٢٥,٠٠٠ أغلبهم من روسيا القيصرية ودول أوروبا الشرقية .

والموجة الثانية من موجات الهجرة هي التي استمرت فيما بين سنتي ١٩٠٤ و ١٩١٣ حيث بلغ عدد المهاجرين ٤٠,٠٠٠ تقريباً ولم يأت عام ١٩١٤ حتى كان العدد الإجمالى لليهود في فلسطين حوالى ٨٥,٠٠٠ وفي هذه المرحلة

تأسست مدينة « تل أبيب » عام ١٩١٠ ولعل المميز للموحيد لهذه الموجة من الهجرة عن الهجرة التي سبقتها هي أنه بينما كان مهاجري الموجة الأولى في استيطانهم يتبعون نظام الملكية الفردية نجد أن مهاجري الموجة الثانية يتبعون نظام المستعمرات الجماعية التي تسير على النظام الاشتراكي حيث تنحصر الملكية في المجموع ويتوزع العمل على الأفراد؛ ولعل أقدم مستعمرة طبق فيها هذا النظام هي مستعمرة « دجانيا » التي أنشأت سنة ١٩٠٩ . في جنوب بحيرة طبرية . وهذا النظام الجماعي هو الذي طبق في الاتحاد السوفيتي فيما بعد قيام الثورة البلشفية .

وحينما قامت الحرب العالمية الأولى نفت السلطات التركية الخاكمة في فلسطين عدداً كبيراً من اليهود المشتبه فيهم ، فتناقص عدد اليهود من ٨٥,٠٠٠ إلى ٥٦,٧٠٠ . وفي نهاية الحرب صدر وعد بلفور في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ .

والموجة الثالثة من موجات الهجرة اليهودية هي التي تقع فيما بين عامي ١٩١٩ و ١٩٢٣ . وفي هذه الموجة هاجر إلى فلسطين ما يقرب من ٣٥,٠٠٠ مهاجر أغلبهم من أوروبا الشرقية ، وتميز مهاجرو هذه الموجة باتباع نظام المزارع التعاونية Moshav ovidim حيث تولت كل أسرة مهاجرة استثمار مزرعة صغيرة دون الاستعانة بعمال مأجورين مع ربط مزارع المستعمرة كلها في إطار اقتصادي متكامل . وفي نهاية عام ١٩٢٢ كان عدد اليهود قد وصل إلى حوالي ٨٤,٠٠٠ .

وابتداء من سنة ١٩٢٣ شهدت فلسطين مرحلة جديدة في تاريخها فقد بدأت بريطانيا تمارس سلطاتها كدولة منتدبة على فلسطين وكان للدول مندوب بريطاني هو السير هربرت صمويل وهو من أصل يهودي ، وقد ساعد هذا المندوب في تنفيذ وعد بلفور بما يلائم مصلحة اليهود ، ومن ثم

أنشأت الوكالة اليهودية التي أصبحت هي الحاكمة الفعلية للبلاد في ظل الانتداب البريطاني ، فقويت موجات الهجرة وأنهالت المساعدات والقروض الأجنبية على يهود فلسطين، ومنحت إنجلترا لليهود أراضي شاسعة من أملاك الدولة ، وعلى العكس من ذلك سنت تشريعات غاية في القسوة طبقت على المزارعين العرب وحدهم بقصد جعلهم يتخلون عن أرضهم . في هذه الظروف وفد على فلسطين ٨١,٠٠٠ يهودي في الموجة الرابعة التي استمرت من سنة ١٩٢٤ إلى سنة ١٩٣١ وزادت مستعمراتهم حتى أصبحت حوالي ١١٠ مستعمرة . وحين ثار السكان العرب على هذه الأوضاع سنت بريطانيا تشريعاً يقضى بتحديد عدد المهاجرين بخمسة آلاف سنوياً عام ١٩٣٨؛ إلا أن الهجرة السرية لم تنقطع .

وكانت الموجة الخامسة من موجات الهجرة اليهودية في الفترة ما بين ١٩٣٢ و ١٩٣٩ وهي أشد الموجات خطراً ففي هذه الفترة اشتدت الحركة النازية في ألمانيا وهي الحركة المعادية لليهود على وجه الخصوص فأخذ يهودها يفرون إلى فلسطين وبلغ عددهم ٢٢٥,٠٠٠ مهاجر من ألمانيا ودول أوروبا الوسطى التي خضعت لها، وبذلك لم ينكسر ينصرم عام ١٩٣٩ حتى كان عدد اليهود في فلسطين قد بلغ ٤٤٢,٠٠٠ .

وقد بدأ يهود الشرق أو المعروفين « بالسفارديم » يفدون أيضاً إلى فلسطين وخاصة من اليمن وجنوب الجزيرة العربية والحبشة وأفريقيا الشمالية وتركيا وإيران .

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية ضعف تيار الهجرة إلى حد ما ثم اشتد في أعقاب الحرب العالمية إشتداداً مروعاً وخاصة بعد حرب فلسطين وحوادثها المؤلمة سنة ١٩٤٨ تلك الحوادث التي أنهت بميلاد الدولة المعتدية « إسرائيل » على جزء كبير من أرض فلسطين . ولكن

هذه الهجرة كان لا بد أن تتف عند حد معين نظراً للضرورات الاقتصادية وضيق مساحة الأرض ولذلك فترت الهجرة ، ابتداء من سنة ١٩٥٢ ، ولكن اتجاهاً قوياً يسود الآن بين حكاه إسرائيل إلى جلب المهاجرين اليهود من شتى بقاع الأرض ووضع العرب أمام الأمر الواقع والتوسع على حسابهم ولا شك أن الحصار الإقتصادي الذي فرض على هذه الدولة كان له اثره الفعال في كبح جماح الهجرة اليهودية وريثاً يتم إستكمال حلقات الحصار الحديدية حول إسرائيل وخاصة في خليج العقبة وشل حركة ميناء إيلات .

والجدول التالي يوضح عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين في المدة ما بين ١٩٤٦ و ١٩٥٢ .

السنة	عدد المهاجرين اليهود
١٩٤٦	١٧,٧٦٠
١٩٤٧	٢١,٥٤٢
١٩٤٨	١١٨,٥٤٠
١٩٤٩	٢٣٩,١١١
١٩٥٠	١٧١,٩٠١
١٩٥٢	١٤,٩٢٠

راجع : الدكتور أحمد عبد القادر الجمال : من مشكلات الشرق الأوسط من مشكلة فلسطين .
والدكتور أحمد سويلم العمري : الشرق الأوسط ومشكلة فلسطين القاهرة ١٩٥٤ .

وتطور عدد اليهود الاجمالي في فلسطين على النحو التالي

السنة	العدد الإجمالي
١٩٤٥	٥٩٣,٠٠٠
١٩٤٧	٦٤١,٠٠٠
١٩٤٩	١,٠١٤,٠٠٠
١٩٥١	١,٠٤٥,٠٠٠
١٩٥٢	١,٤٣٠,٠٠٠

وفي نهاية سنة ١٩٥١ بلغ عدد السكان العرب في أرض فلسطين المحتلة ١٨٣,٠٠٠ منهم ١٢٠,٠٠٠ مسلم سن و ١٥,٠٠٠ مسلم درزي و ٣٨,٠٠٠ مسيحي . أما اللاجئين العرب الذين يعيشون على حدود الأرض المحتلة في قطاع غزة والضفة الغربية انهم الأردن وحدود لبنان وسورية حوالى مليون وربع مليون لاجئ . فيمكن اعتبارهم مهاجرين أيضا وإن كانت هجرتهم تعتبر هجرة قسرية تحت ضغط ظروف شاذة .

هذا واليهود لم يستطيعوا قبل سنة ١٩٤٨ أن يمتلكوا من أرض فلسطين أكثر من ٨ ٪ رغم المساعدات الهائلة التي كانت تنال على اليهود من شتى بقاع الأرض وخاصة من بريطانيا وأمريكا ويهود الدول الأخرى ولم تتعد ملكية اليهود في أى منطقة من مناطق فلسطين أكثر من ٣٥ ٪ من مجموع الأملاك كما يدل الجدول الآتى:

توزيع الأملاك الخاصة في فلسطين حتى عام ١٩٤٨

المناطق	أملاك العرب	أملاك اليهود
صفد	٦٨	١٨ %
عكا	٨٧	٣
طبريا	٥١	٣٨
بيسان	٤٤	٣٤
الناصرة	٥٢	٢٨
حيفا	٤٢	٣٥
جنين	٨٤	أقل من ١
نابلس	٧٦	—
طولكرم	٧٨	١٧
رام الله	٩٩	١
القدس	٨٤	٢
الخليل	٩٦	أقل من ١
يافا	٤٧	٣٩
الرملة	٧٧	١٤
غزة	٧٥	٤
بئر سبع	١٤	أقل من ١

وباستثناء منطقة بافا حيث تقع تل أبيب ظل اليهود أقلية في جميع مناطق

فلسطين حتى عام ١٩٤٨ .

نسبة العرب واليهود إلى مجموع السكان حتى سنة ١٩٤٨

المنطقة	عرب	يهود
صفد	٨٧٪	١٣٪
عكا	٩٦	٤
طبريا	٦٧	٣٣
بيسان	٧٠	٣٠
الناصرة	٧٤	١٦
حيفا	٥٣	٤٧
جنين	١٠٠	—
نابلس	١٠٠	—
طولكرم	٨٣	١٧
رام الله	١٠٠	—
القدس	٦٢	٣٨
الخليل	٩٩	أقل من ١
يافا	٢٩	٧١
الرملة	٧٨	٢٢
غزة	٩٨	٢
بئر مبيع	٩٩	أقل من ١

٢ - الهجرة إلى الجزائر

مقدمة :

كانت الجزائر هي أولى بلاد المغرب العربي التي ابتليت بالاستعمار الفرنسي ، فقد بدأت عمليات الغزو والاعتداء الفرنسي على أرض الجزائر منذ سنة ١٩٣٠ ثم احتلت تونس في سنة ١٨٨١ وأخيراً مراكش سنة ١٩١١ . وترتكز سياسة فرنسا الاستعمارية على المركزية المطلقة فيما يختص بشؤون المستعمرات ، وقد ارتبطت هذه السياسة بسياسة أخرى هي سياسة الفرنسية الجماعية وترتكز على محاولة ادماج الشعوب المستعمرة في الكيان الفرنسي ، وذلك عن طريق فرض ثقافة الفرنسيين ولغتهم ومفاهيم حياتهم ونظم مؤسساتهم السياسية والاجتماعية على شعوب المستعمرات عموماً حتى يستوعبوها ومن ثم يصبح كيانهم النفسى والثقافى فرنسياً كالفرنسيين تماماً .

ولا يهمننا هنا أن نناقش نظرية الفرنسية الجماعية ، فالذى يعنيننا هو النتائج الديموغرافية التي صاحبت التعصب لهذه السياسة ، ففي غضون سنوات قليلة من الاحتلال الفرنسي لشمال أفريقيا أخذت تيارات الهجرة تنساب إلى هذه البلاد بصفة عامة لصالحية جوها أكثر من غيرها من المستعمرات لمعيشة الأوربيين وقد استهدفت الجزائر بوجه خاص لتركيز مستمر ومتواصل لهجرة الأوربيين وبخاصة الفرنسيين والإيطاليين .

ففي مراكش وحدها بلغ عدد الأوربيين في سنة ١٩٥١ حوالى ٣٥٠,٠٠٠ منهم ٢٧١,٠٠٠ فرنسى من مجموع السكان البالغ عددهم حوالى ٩ مليون نسمة .

أما في تونس فيبلغ عدد الأوربيين حوالى ٣٠٠ ألف من مجموع السكان

البالغ عددهم حوالى ٤ مليون نسمة أى أن الأوربيين يمثلون ٧٪ من مجموع السكان ، ويتساوى فى تونس عدد الفرنسيين والاطاليين .

ومنذ سنة ١٩٣٠ بدأت وفرد الهجرة تتدفق على الجزائر منتهرة فرصة التسميات والمساعدات التى تقدمها سلطات الاحتلال الفرنسى .

والمهاجرون من الأوربيين الموجودين فى الجزائر الآن ليسوا كاهم من أصل فرنسى وإن كان قانون ٢٦ يوبيه سنة ١٨٨٩ قد منحهم الجنسية الفرنسية فمنهم من يرجع إلى أصل إسبانى أو إيطالى أو مالطى أو يردى .

ويبلغ عدد الأجانب أو الأوربيين غير المسلمين فى الجزائر حوالى ١,٧٥٠,٠٠٠ من مجموع السكان البالغ عددهم حوالى ٩,٣٠٠,٠٠٠ نسمة أى أن نسبة الأوربيين فى الجزائر تساوى ١٨ ٪ من مجموع السكان وهى نسبة مرتفعة عن مثيلتها فى تونس أو مراکش . ويدل تعداد سنة ١٩٥٣ على أن ١١ ٪ من الأوربيين فى الجزائر يرجع إلى أصل فرنسى و ٥ ٪ إلى أصل إسبانى و ١,٥ ٪ إلى أصل إيطالى و ١ ٪ من بلاد أخرى .

والمتتبع لتيار الهجرة الأوربية للجزائر يلاحظ أن هذا التيار بلغ أشده فى المدة ما بين سنة ١٨٧٠ وسنة ١٩٠٠ وكان أغلب المهاجرين فى هذه الفترة من اللاجئين وخاصة من مقاطعتى الإلزاس واللورين فى أعقاب الحرب السبعينية ، وكذلك أصحاب مزارع الكروم الذين تعرض محصولهم فى سنوات متعاقبة للبوار بسبب الآفات والجو . وقد وجد هؤلاء المهاجرين فى سلطات الاحتلال كل العون فقد وزعت عليهم أملاك الدولة وجزء كبير من الأوقاف الاسلامية فى الجزائر حتى أن تيار الهجرة لم تخف حدته إلا بعد نقاذ أملاك الدولة .

والجدول التالى يوضح تطور عدد المهاجرين الأوربيين فى الجزائر منذ سيطر عليها الفرنسيون .

السنة	عدد الأوربيين في الجزائر
١٨٣٦	١٥,٠٠٠
١٨٥١	١٣١,٠٠٠
١٨٧٢	٢٨٠,٠٠٠
١٩٠١	٦٣٤,٠٠٠
١٩٣١	٨٨١,٠٠٠
١٩٤٨	٩٦٠,٠٠٠
١٩٥٣	١,٠١٩,٠٠٠

وقد منحت السلطات الفرنسية أجود الأراضي للمستوطنين الأوربيين وخاصة في منطقة النل مستوية على أملاك الدولة وأملاك الأفراد وأراضي القبائل والأوقاف والمجاهدين من الثوار الذين يهبون بين حين وآخر في وجه الاستعمار الفرنسي ، وقد بلغ جملة ما استولت عليه سلطات الاحتلال من أملاك المجاهدين وحدهم منذ سنة ١٨٧١ حوالى ٥٠٠,٠٠٠ هكتار . كما أن سلطات الاحتلال لم تكتف بذلك بل أصدرت قانوناً في يولية سنة ١٨٧٣ هو قانون تحديد الأراضي المشاعة الذى كان من نتيجته الاستيلاء على حوالى نصف مليون هكتار وزعت على الفرنسيين . كما وزعت بعض الأراضي المسلوبة من أصحابها العرب على الفرنسيين مجازاً بواقع ٢٠٠ هكتار لكل عائلة فرنسية مستوطنة في الجزائر وبلغ مجموع هذه الحصص المجانية حتى سنة ١٩٣٦ حوالى ٤٠٠,٠٠٠ هكتار .

ومن هذا يتبين أن المهاجرين الأوربيين على قلتهم في الجزائر يتمتعون بالسيطرة الاقتصادية والإدارية فهم من ناحية يمتلكون حوالى ٣ مليون هكتار من مجموع الأرض الزراعية البالغة ١١ مليون هكتار

أى أن ملكيتهم تصل إلى حوالى ٢٨ ٪ من مجموع الأرض الزراعية بينما عددهم لا يتجاوز ١٨ ٪ من مجموع السكان . ومن ناحية أخرى فالأوروبيون هم المسيطرون على الإدارة وجميع نواحي السلطة ، وتبعاً لذلك ففي كثير من إدارات الدولة ومصالحها توضع جميع المشروعات العمرانية كإنشاء الطرق والسدود والقنوات لمصلحة الأوروبيين المستوطنين .

الهجرة الخارجية من الشام

قلنا إن البلاد العربية تتميز بظاهرتين ديموجرافيتين واضحتين فيما يختص بتحركات السكان أو هجرتهم . الظاهرة الأولى هي استهداف بعض البلدان العربية لتيارات من الهجرة وفدت إليها من الخارج بصورة تكاد تكون مقصودة ومنظمة وهذا ما رأيناه في فلسطين والجزائر . والظاهرة الثانية هي خروج هجرات من العالم العربي إلى خارج المنطقة متوجهة إلى الأمريكتين وبعض مناطق أفريقيا غير العربية .

ويرى بعض علماء السكان العرب أن هجرة اللبنانيين والسوريين والفلسطينيين إلى الخارج تمثل مشكلة ديموجرافية واجتماعية بالنسبة للأمة العربية ^(١) .

فمن الناحية الاقتصادية تعتبر الهجرة مفيدة لما تدره من مال ، فقد ورد في بعض المصادر أن مجموع الهبات التي أرسلها المهاجرون اللبنانيون وخدمهم إلى ذويهم في الوطن الأم بلغت حوالى ٤٠ مليون ليرة في عام ١٩٥٢ ^(٢) وإلى المهاجرين يعود الفضل في تعمير كثير من القرى اللبنانية ومدنها وموازنة العجز الدائم في ميزانه التجاري .

ولكن الناحية الغالبة في موضوع هجرة اللبنانيين والسوريين أنها تضعف من قوة الوطن العربي وتفقده جزءاً كبيراً من الصفوة الفتية من أبنائه ،

(١) الدكتور عزة النمى ص ٢٩٠ .

(٢) راجع د . البرت بدر محاضرات عن الاقتصاد اللبناني .

ويترتب على ذلك مشكلة اجتماعية أخرى هي قلة عدد الزيجات وكثرة العوانس
نما قد يؤدي إلى تيارات شاذة في المجتمع العربي . وفي عام ١٩٥٢ - ١٩٥٣
كان ٧٧٪ من المهاجرين اللبنانيين ذكورا وكان ٧٥٪ منهم تتراوح أعمارهم
بين ١٥ و ٤٤ سنة ، والجدول التالي يظهر هذه الحقيقة بوضوح .

فئات السن والجنس بين المهاجرين اللبنانيين في سنة ١٩٥٣

الأعمار	ذكور	أناث	المجموع
٦٠ سنة فما فوق	١٢٠	٥٨	١٧٨
٤٥ — ٥٩	٢٨٣	١٠٨	٣٩١
٣٠ — ٤٤	٥٨٢	١٨٤	٧٦٦
١٥ — ٢٩	١٢٥١	٤٣٤	١٦٨٥
لغاية ١٤	١٧٢	١٢٣	٢٩٥
المجموع	٢٤٠٨	٩٠٧	٢٣١٥

[عن النشرة الإحصائية اللبنانية ربع السنوية . الربع الأخير لعام ١٩٥٣]

ويلاحظ أن أجيال المهاجرين المولودة في الوطن العربي لا تزال تذكر
لغة الأجداد وتعزّز بالتراث العربي بل لقد ساهم بعض هؤلاء في الحركة
الفكرية والأدبية العربية وعلى سبيل المثال الشعراء خليل مطران دايليا
أبو ماضي وغيرهم . أما الجيل الثاني والثالث فأفرادهما يذوبان تدريجيا في
كيان المهجر الذي يعيشون فيه ويتمثلون البيئة الجديدة ومن ثم يفقدون
السمات العربية .

ومن التقارير التي كانت ترفعها فرنسا إلى عصبة الأمم بصفتها دولة
الانتداب على سورية ولبنان . يمكن تتبع تيار الهجرة بالإضافة إلى نشرات
وتقارير متفرقة أصدرتها الحكومة اللبنانية .

قسيما بين سنتى ١٨٦٠ و ١٨٩٠ كانت وفود المهاجرين من الشام تتجه إلى الإقليم المصرى. وقد أسهم هؤلاء المهاجرون فى النشاط التجارى والثقافى والصحنى ولا تزال آثارهم ماثلة فى بعض الحقول إلى أيامنا هذه .

منذ عام ١٨٩٠ بدأ تيار الهجرة من الشام ينحسر عن الإقليم المصرى ليتجه إلى أمريكا الشمالية بحافز الرغبة فى تحسين مستوى المعيشة وجمع الثروة ، وبما ساعد على اشتداد تيار الهجرة إلى هذه البلاد أيضاً التحسن المستمر فى وسائل الملاحة البحرية والتسهيلات التى كانت تقدمها شركات النقل . ويتميز المهاجرون فى هذه الفترة بأنهم بدأوا حياتهم فى الدنيا الجديدة منذ أول السلم ، ثم تدرجوا حتى أصبحوا من كبار التجار فى المدن التى أقاموا فيها .

وفى ما بين سنتى ١٩٠٠ و ١٩١٤ اشتد تيار الهجرة اشتداداً بالغاً وقدر عدد الراحين سنوياً فى هذه الفترة بحوالى ١٥,٠٠٠ كان أغلبهم من المسيحيين الفارين من الخدمة العسكرية التى فرضتها الدولة العثمانية على جميع رعاياها بصرف النظر عن دياناتهم .

فى سنوات الحرب العالمية الأولى ضعفت الهجرة ولكن ما لبثت أن عادت واشتدت بعد انتهاء الحرب وإن كانت فى هذه الفترة - فترة ما بعد الحرب - قد غيرت اتجاهها . ذلك أن حكومة الولايات المتحدة أصدرت فى سنة ١٩٢١ قانوناً يقيد الهجرة وانتهجت كندا نفس النهج ، أما المكسيك فكانت ظروف الأمن الداخلية فيها غير مواتية بسبب المنازعات الدينية . ولذلك تحول تيار الهجرة وتدفق سيل المهاجرين نحو أمريكا الجنوبية ، كما ظهرت منطقة جديدة وجد فيها اللبنانيون والسوريون مجالاً لنشاطهم ، وهذه المنطقة الجديدة هى أفريقية وخاصة منذ سنة ١٩٣٥ .

وعلى العموم كان تيار الهجرة بعد الحرب الأولى ضعيفاً نسبياً عنه

قبل الحرب ثم ظل يضعف شيئاً فشيئاً من ١٣,٥٠٠ سنوياً في أعقاب الحرب إلى ٤٠٠٠ سنوياً سنة ١٩٣٨ .

والجدول الآتي يبين حركة الهجرة وما طرأ عليها من نشاط أو فتور فيما بين سنتي ١٩٢٤ و ١٩٣٨ ، وهذه الأرقام من واقع تقارير سلطات الانتداب الفرنسية على سورية ولبنان :

عدد المهاجرين من سورية ولبنان فيما بين سنتي ١٩٢٤ و ١٩٣٨

السنة	السوريين	اللبنانيين	المجموع
١٩٢٤	٧١٠٠	٦٤٠٠	١٣,٥٠٠
٢٥	٣٣٥٠	٧٦٣٠	١٠,٩٨٠
٢٦	٨٥٠٠	٧٥٠٠	١٦,٠٠٠
٢٧	٥٦٦٦	٣٧٢٥	٩٣٩١
٢٨	٨٢٩٠	٥٩٩٨	١٤٢٨٨
٢٩	٢٨٩٤	٥٠٤٧	٧٩٤١
٣٠	٣٤٦٣	٣٣٨٣	٧٣٤٦
٣١	١٠٣٩	١٣٨٧	٢٤٢٦
٣٢	٤٦٩	١١٧١	١٦٤٠
٣٣	٨٠٨	١٥١٦	٢٣٢٤
٣٤	٨١٠	١٦٩٩	٢٥٠٩
٣٥	١٧٤٢	١٩٩٢	٣٧٣٤
٣٦	٨٠٥	٢٢٧٧	٣٠٨٢
٣٧	٩٥٠	٣٣٤٥	٤٢٩٥
٣٨	٥٦٧	١٤٣٩	٢٠٠٦

هذا وقد بلغ متوسط العائدين إلى الوطن الأم — بسبب عدم القدرة على التكيف مع البيئة الجديدة — في المدة ما بين ١٩٢٨ و ١٩٣٨ حوالي ٢٠٠٠ شخص سنوياً (سوري ولبناني) .

وتذكر بعض المصادر أن نسب عدد المهاجرين السوريين واللبنانيين حسب البلاد التي قصدوها فيما بين سنتي ١٩٢٠ — ١٩٣٠ كانت كالآتي^(١) :

أمريكا الجنوبية	٥٠ ٪
أفريقيا وخاصة السنغال	٢٥ ٪
أمريكا الشمالية	١٠ ٪
بلاد مختلفة	١٥ ٪

وأجرى مصدر آخر تقديراً مماثلاً لنسب المهاجرين السوريين واللبنانيين حسب البلاد التي قصدوها فيما بين سنتي ١٩٢٦ — ١٩٣٨ فكانت تقديراته كالآتي^(٢) :

من سوريا	من لبنان	
٦٩,٢ ٪	٤٩ ٪	أمريكا الجنوبية
٧,٢	١٠	الشمالية
٤,٢	٨,٥	الوسطى
٦,٥	٢٦,٥	أفريقية
٧	٤,٥	أوروبا
٥,٨	٠,٥	آسيا
٠,١	١	أستراليا

ويعلق المصدر على هذا التقدير بقوله أن الكثرة الغالبة من المهاجرين

1. R. Thoumin: Géographie humaine de la Syrie Centrale P.335

(٢) الدكتور عزه النص : أحوال السكان في العالم العربي ص ٢٩٤

السوريين واللبنانيين قد قصدوا أمريكا الجنوبية في الفترة ما بين الحربين العالميتين وخاصة البرازيل والأرجنتين ، وتعتبر مدينة سان باولو في البرازيل أكبر مركز لهم . وفي أمريكا الشمالية تأتى الولايات المتحدة في الدرجة الأولى (وخاصة مدينتى بوسطن ونيويورك) ويليهما المكسيك ثم كندا . وفي أفريقيا كانت أهم المراكز التى قصدها المهاجرون هى السنغال وأفريقية الإنجليزية وغينيا الفرنسية وغينيا البرتغالية والسودان الفرنسى وأيرتريا . ومع أن هناك قيوداً فرضتها السلطات الاستعمارية الإنجليزية فى غرب أفريقيا على هجرة الآسيويين إلى هذه المناطق فإن أكبر بحرّة داخل هذه الإنفلمات هى المجموعة السورية اللبنانية ، وهى لا تمارس نشاطاً سياسياً أو ثقافياً وإنما تعتكف على شئون المال والتجارة والتبادل الاقتصادى فقط ويبرز دورهم كوسطاء وسماسرة ودلالين ، كما يشتغلون بتجارة المنسوجات والبقالة وتسليف النقود وتجارة التجزئة ويمتلكون منازل وأراضى زراعية .

أما أمريكا الوسطى فأهم المناطق التى استوطن فيها المهاجرون هى كوبا وجزر الأنتي .

أما أوروبا فكانت فرنسا هى أكثر البلاد التى قصدها المهاجرون ولعل ذلك كان مرجعه أن فرنسا كانت الدولة المنتدبة على سورية ولبنان فى ذلك الوقت وإن كان معظم المهاجرين إليها ترجع أصولهم إلى الأرمن الذين كانوا قد أقاموا فى سورية ولبنان بعد هجرتهم من تركيا .

ويلاحظ بصفة عامة أن الموارنة (طائفة من المسيحيين) كانوا أكثر إقبالا على الهجرة من المسلمين ، ولم يكن الدافع إلى هجرتهم البؤس أو العوز بقدر ما كان الدافع ثقافياً لاتصال هؤلاء بالغرب وثقافة الغرب عن طريق المدارس الأجنبية والإرساليات ودرايتهم بإمكانيات العمل والتجارة فى البلاد الخارجية ، وهذا ما يؤكدّه العلامة الفرنسى Demangeon

إذ يقرر أنه ولا يكفي أن يكون مستوى المعيشة منخفضاً لدى شعب ما ليحس ضرورة الهجرة بل يجب أن يتوفر لدى هذا الشعب الشعور بسوء حالته بالنسبة إلى غيره من الشعوب ، (١)

ويمكن أن نرجز الأسباب التي ساعدت على هجرة السوريين واللبنانيين إلى الخارج فيما يلي :

١ — كثافة السكان مع ضيق الموارد الاقتصادية وخاصة في جبال لبنان وجبال العلويين .

٢ — اضطراب الأحوال السياسية في البلاد منذ أوائل القرن التاسع عشر والثورات المتعاقبة ضد الحكم العثماني ثم ضد الحكم الفرنسي بعد الحرب الأولى ، وما تبع ذلك من اضطراب في شؤون الأمن والشؤون الاقتصادية . إلى أن استقرت الأمور في تلك البلاد في وقتنا الحاضر .

٣ — التفاعل الثقافي بين حضارة الشرق والحضارة الغربية وسيادة التيارات التحررية ونبذ التواكل والقدرية والرغبة في المغامرة .

هذا ومن ناحية أخرى يلاحظ أن وجود أعداد كبيرة من المغتربين العرب في الخارج وخاصة في الأمريكتين يساعد مساعداً فعالة في الدعاية للقضايا العربية وتنوير الرأي العام العالمي بحقيقة ما تنطوي عليه هذه القضايا من حقائق بعيدا عن زيف أبواق الدعاية الصهيونية والاستعمارية المضللة . وقد عملت الجمهورية العربية المتحدة على الاستفادة من جهود هؤلاء المغتربين وولائهم لوطنهم فعمدت لهم مؤتمراً في أغسطس سنة ١٩٥٦ لتجديد وفائهم وإطلاعهم على مظاهر التقدم العمراني والحضاري الذي أصاب قطاعات الحياة الاجتماعية

(١) نقلاً عن كتابه .

في وطنهم الأم ، كما كان من أغراض هذا المؤتمر محاولة تنسيق الجهود العربية في المهجر وتعبئتها على أسس سليمة تكفل الاستفادة منها إلى أقصى حد ممكن في سبيل العروبة وقضاياها .

الإقليم المصرى والهجرة

كان موقع الإقليم المصرى الجغرافى سبباً فى وفود كثير من المهاجرين إليه ، كما كان للنشاط التجارى - فضلاً عن العامل الاستعمارى - أثر كبير فى ترغيب الإقامة فيه هذا إلى جانب ما اشتهر به سكان البلاد الأصليين من كرم الضيافة والافراط فى المسالمة ، وقد كثرت ورود هذه الأجناس بعد فتح قناة السويس بصفة خاصة .

وبين الجدول الآتى عدد المستوطنين فى الإقليم المصرى من الأجانب من الجنسيات المختلفة فى بعض السنين التى عملت فيها إحصائيات عامة .

الجنسية	العدد			
	فى سنة ١٨٨٢	فى سنة ١٨٩٧	فى سنة ١٩٠٧	فى سنة ١٩١٧
أتراك	—	—	٦٩٧٢٥	٣٠٧٩٧
يونانيون	٢٧٣٠١	٣٨٢٠٨	٦٢٩٧٣	٥٦٧٣١
إيطاليون	١٨٦٦٥	٢٤٤٥٤	٣٤٩٣٦	٤٠١٩٨
فرنسيون	١٥٧١٦	١٤١٣٧	١٤٥٩١	٢١٢٧٠
إنجليز	٦١١٨	١٩٥٦٣	٢٠٦٠٣	٢٤٤٥٤
أجناس مختلفة	١٣٠٨٦	١٦١٧٨	١٨٢٧١	٢٣٥٩٩

يلاحظ أن عدد المهاجرين يتزايد بخاصة فى السنين التى تنزل فيها أزمات بالبلاد التى يهاجرون منها ، أو فى السنين التى تبدو فيها علامات الرخاء فى مصر أو فرص استغلال رموس الأموال الأجنبية سانحة ، ثم إن تقدم أسباب المواصلات فى خلال القرن ١٩ يعتبر عاملاً هاماً فى اشتداد حركة الهجرة الخارجية .

كما يلاحظ أن توافد الأجانب على إقليم مصر كان شديداً حتى عام ١٩٢٧ ثم أخذ بالتناقص التدريجي كما تدل الإحصائية التالية .

الجنسية	١٩٢٧		١٩٣٧		١٩٤٧	
	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد
يونيانيون	٣٤	٧٦٢٦٤	٣٧	٦٨٥٥٩	٣٩	٥٧٤٢٧
إيطاليون	٢٣	٥٢٤٦٢	٢٥	٤٧٧٠٦	١٩	٢٧٩٥٨
بريطانيون	١٥	٣٤١٦٩	١٧	٣١٥٢٣	١٩	٢٨٢٤٦
فرنسيون	١١	٢٤٣٣٢	١٠	١٨٨٢١	٧	٩٧١٧
أتراك	٤	٩٢٨٤	٢	٣٢٠١	٤	٥٣٧٥
آخرون	١٣	٢٩٠٨٩	٩	١٦٧٠٥	١٢	١٧١٩٢
الجملة		٢٢٥٦٠٠		١٨٦٥١٥		١٤٥٩١٥

وهذا بالطبع عدا الذين اكتسبوا الجنسية المصرية (سابقاً) . ويتجمع الأجانب خاصة في محافظتي القاهرة والاسكندرية وفي مدينتي بور سعيد والمنصورة ، وكانوا يتمتعون إلى وقت قريب بنفوذ مالى كبير .

ويلاحظ على الجدول السابق تناقص مستمر في عدد الأجانب الموجودين في إقليم مصر ولعل ذلك يرجع في المقام الأول إلى التطور السياسى والاجتماعى والاقتصادى ، فمن الناحية الأولى بدأت قبضة الاستعمار تحف شيئاً فشيئاً عن مصر إلى أن زالت نهائياً بعد الثورة ، ومن الناحية الثانية بدأ الوعى ينتشر بين جموع المصريين وافتشر التعليم وزادت نسبة المتعلمين وألغيت المحاكم المختلطة والامتيازات الأجنبية ، ومن الناحية الثالثة بدأ الوعى الاقتصادى بين المصريين يشتد وخاصة بعد إنشاء بنك مصر وشركاته

وكان ذلك في الواقع ارهاصاً بزوال الاحتكارات الأجنبية وتلاشى نفوذ الأجانب الاقتصادي بالتدريج .

ويلاحظ أيضاً على الجدول السابق أن الجالية اليونانية كانت ومازالت تمثل أكبر الجاليات الأجنبية في إقليم مصر هذا عدا عدد كبير منهم تنحس بالجنسية المصرية ويرجع ذلك إلى التقارب التاريخي والصداقة القديمة بين الشعبين المصري واليوناني وتوثق العلاقات بين حكومتى البلدين في النواحي الاقتصادية والثقافية والسياسية ، فليرونان مراقف مشرفة في السياسة العالمية بخصوص القضايا العربية من ذلك أنها إحدى الدول الأوربية المعدودة التي لم تعترف إلى الآن بإسرائيل ، ووقفت بجانب العرب في مؤتمر لندن الذي عقد في أغسطس سنة ١٩٥٦ لبحث مشكلة تأمين قناة السويس ، كما أن المرشدين اليونانيين وقفوا إلى جانب المرشدين المصريين حين انسحب جميع المرشدين الأجانب في ١٥ سبتمبر سنة ١٩٥٦ بقصد تعطيل الملاحة .

وإذا أخذنا القطاع الزراعي لتبين مدى سيطرة الأجانب عليه كمصدر من مصادر الثروة القومية نجد أن ملكيتهم للأرض الزراعية تتجه إلى التناقص المستمر منذ سنة ١٩٢٧ . والاحصاءات الحديثة تدل على أن ملكية الأجانب للأرض الزراعية في الإقليم المصري لم تتعد في سنة ١٩٥٦ ١٤٢,٠٦٢ فداناً . والجدول التالي يوضح التناقص المستمر في ملكية الأجانب للأرض الزراعية سنة بعد أخرى .

السنة	المساحة بالفدان
١٩٥٢	١٦٤٦٣١
١٩٥٣	١٥٧٥٢٧
١٩٥٤	١٥٤٩٤٢
١٩٥٥	١٤٨٤١٩
١٩٥٦	١٤٢٠٦٢

وفي سنة ١٩٥٥ كان عدد الملاك الأجانب حوالى ٣٦٥٥ مالكا انخفضوا في سنة ١٩٥٦ إلى ٢٣٩٦ مالكا وهذا يوضح تحرر الاقتصاد القومى في قطاع الزراعة من قبضة الأجانب ، ويتناسب هذا التحرر تناسباً طردياً مع الأوضاع السياسية في البلاد .

أما عن هجرة سكان الإقليم المصرى للخارج فهي لا تعد شيئاً يذكر . فقد كانت نسبة المصريين المولودين في الخارج ١,٥ ٪ من سكانها الأصليين في عام ١٩٢٧ (وبخاصة في السودان) وهبطت هذه النسبة إلى ١ ٪ في عام ١٩٣٧ . ولذلك فن المأثور عن سكان الإقليم الجنوبى المصرى التمسك بأرض الوطن . وترجع عوامل إحجام المصريين عن الهجرة الخارجية إلى ما يأتى :

١ — درجة التكامل فى الوحدة العائلية وقوة التأثير الأبوى فيها .

٢ — اعتماد أغلب سكان الإنليم على الزراعة وارتباطهم بالأرض . وهذه المهنة تدعو دائماً إلى الإستقرار وقلما تشجع المشتغلين بها على أن يتركوا الأرض إلى جهات أخرى .

٣ — القناعة والرضى اللتان يعرف بهما الفلاح والعامل المصرى وهذه الصفات من شأنها أن تضعف روح المغامرة والطموح والسعى وراء المزيد من الرزق . يقول العلامة « ديمانجون Demangeon » - كما سبق أن أشرنا - « لا يكفي أن يكون مستوى المعيشة منخفضاً لدى شعب ما ليحس ضرورة الهجرة بل يجب أن يكون لديه شعور بسوء حالته بالنسبة إلى الشعوب الأخرى » .

٤ — ضعف الكثافة السكانية نسبياً فى الإقليم المصرى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وهما القرنان اللذان بلغت فيهما موجات الهجرة أقصاها فى مختلف بقاع العالم . فكانت حالة مصر السكانية دون الحالة فى دول غرب أوروبا التى هاجر أبناؤها إلى الأمريكتين تخفيفاً للازدحام السكانى .

نتائج الهجرة

أولاً : نتائج الهجرة الداخلية :

تركزت الهجرة الداخلية أثاراً عميقة في طبيعة الحياة الاجتماعية في المجتمع الواحد بشقية الحضرى والريفى على السواء ، وكان من أبرز هذه الآثار :

(أ) نقص في القوى البشرية العاملة في بعض قطاعات المجتمع الريفى بعد موجات الهجرة المتتالية من الريف إلى المدن ، وكان من نتيجة ذلك ارتفاع أجر العامل الزراعى في البلاد التى شهدت هذا النوع من الهجرة الداخلية على نطاق واسع مع اثبات النفس في المواليد .

(ب) لجأت بعض الهيئات الحكومية أو الأهلية أو الأفراد إلى جلب عمال زراعيين في أحيان كثيرة من خارج بلادهم ، وقد وضحت هذه الظاهرة الديموجرافية في أمريكا خلال القرن التاسع عشر في استقدام الزوج لزراعة القطن وخاصة في الولايات الجنوبية ، كما تبدو هذه الظاهرة على نطاق موسمى في فرنسا في موسم جمع الكروم وفي البرازيل في موسم جمع البن . ولا شك أن استقدام عمال أجانب قد يكون له نتائج ضارة في أحيان كثيرة وخاصة من الناحية الاقتصادية ، فأجور هؤلاء العمال تعتبر نوعاً من تسرب النقد أو الواردات غير المنظورة وخاصة إذا كان هؤلاء العمال يعودون إلى بلادهم ثانية ومعهم مدخراتهم ، كذلك يمثل استقدام العمال الأجانب مشكلة ثقافية وأخرى تكيفية مع البيئة الجديدة أو المؤقتة .

(ح) تركز العمال في الإنتاج الصناعى ، ومفهوم أن الصناعة هى فرع واحد من فروع الإنتاج العديدة . وقد أدى ذلك إلى إختلال التوازن بين مختلف فروع الإنتاج والخدمات وعدم التناسق بين قوى الدفع

الاجتماعى التى تعمل لتطوير المجتمع فى شتى نواحيه ، كما أدى التركيز فى الصناعة أيضاً إلى انخفاض الأجور انخفاضاً سريعاً ، وقد وضحت هذه الظاهرة فى أوروبا غداة الثورة الصناعية واستقبال المدن للهجرات من الريف على نطاق واسع وزيادة عدد العمال عن طلبهم مما أدى إلى انخفاض أجور العمال إلى ما يسمى بالأجر الحديدى Iron Wage أو أجر الكفاف ، وبما يدل على خطورة هذه الظاهرة - ظاهرة انخفاض الأجور نتيجة الهجرة الداخلية - أن حالة اليأس التى آلت إليها العمال كانت الشرارة الأولى فى ظهور تيارات الفكر الاشتراكى منذ أواخر القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر كله ، وكانت مشكلة الأجر الحديدى وبؤس الطبقة العاملة من المسائل الرئيسية التى دارت حولها كتابات أشهر مفكرى هذا العصر من أمثال « سميث » و « ريكاردو » و « ماركس » و « انجلز » و « فردريك ليست » و « قوربير » .

(ج) ظهور كثير من المشاكل فى المدن وخاصة تلك التى زادت كثافتها السكانية ، فقد كان النمو المطرد مع توقف موجات الهجرة الداخلية وانخفاض معدل الوفيات نتيجة التقدم الصحى والطبى خليقاً بأن يولد عدداً من المشاكل الاجتماعية تجل عن الحصر ، ولم يستطع النشاط الحكومى أو النشاط الأهلى أن يقابل هذه المشاكل بما يلائمها من حلول سريعة وذلك لضيق مواردها المالية والفنية وعدم كفاية أجهزة التخطيط والقصور فى التشريعات العمالية الاجتماعية . وأبرز المشاكل التى ترتبت على النمو المفاجئ فى سكان المدن مشكلات الاسكان والمواصلات والصحة العامة والتعليم والأندية ودور الرعاية الاجتماعية والحدائق العامة ودور التسلية ومؤسسات الخدمة العامة ... الخ .

(هـ) انتشار كثير من التيارات الشاذة والانحرافات كنتيجة من نتائج

الضغط على المدينة كوحدة مورفولوجية محدودة النطاق . فارتفاع معدلات الجرائم بأنواعها المختلفة من سرقة ونشل وتسول وتعاطى للمخدرات يمكن أن يعزى إلى حد ما إلى الزيادة أو الازدحام السكاني متفاعلا مع عوامل اجتماعية أخرى ، كما أن الدعارة أو تجارة الرقيق الأبيض ولعب الميسر والأسراف في تعاطى الخمر والشذوذ الخلقى والجنسى . . . ما هو إلا تعبير عن مشاكل الوحدة المورفولوجية المحدودة التي تعرف بالمدينة وما يسودها من صراع ومنافسة وروح إنتهازية ساهمت في خلقها الكثافة السكانية الشديدة .

(و) لم يكن بريق الثورة الصناعية جازبا لاهتمام الأفراد وإنتباههم بحسب بل كان أيضاً جازبا لاهتمام الحكومات فأخذت بعض الحكومات تولى مزيد عنايتها المدن ومشاكلها وتوجه إليها كل الاهتمام ، خاصة وأن مشاكل الدول لم تكن تنتهى وكلما كانت الحكومة تعالج مشكلة من المشكلات كانت تظهر مشاكل أخرى عديدة وذلك لسبب واحد رئيسى ، وهو أن علاج الحكومات لمشكلات المدن كان إلى وقت قريب جداً يقرم على الارتجال وعدم التخطيط وقلة الاهتمام بالأخذ بالأساليب العلمية الحديثة فى تناول المشكلات الاجتماعية وعلاجها علما وقد أدى هذا على استنزاف كثيرا من الجهود والأموال ولم يؤت الإصلاح أو محاولات الإصلاح ما كان يرجى لها من نجاح ومن جهة أخرى فقد سبب هذا فى كثير من المجتمعات إهمالا لشئون الريف وعدم العناية بأهله وأعمال مصالحهم ورغباتهم مما أدى إلى ضعف الانتاج الزراعى وتدهور الثروة الحيوانية ، كما أن عدم توفر أعمال الرعاية الاجتماعية والخدمات العامة ساعد على توسيع رقعة الفقر وإقتشار الجهل والمرض وما إليها من الأمراض الاجتماعية الباثولوجية فى البيئات الريفية .

(ز) من نتائج الهجرة الداخلية - أيضاً - وتخلخل السكان في الريف أن تخلف أهل الريف عن أهل الحضر وقامت هوة ثقافية بين قطاعي المجتمع الواحد ووجود مثل هذه الهوة الاجتماعية Social lag يعتبر من الأخطار التي تهدد وحدة المجتمع أو المركب الجمعي الكبير ، ولذلك كان من أهم الواجبات القومية تدارك مثل هذه الحالة باصلاح أحوال الريف والنهوض بمستوى سكانه .

ثانياً : نتائج الهجرة الخارجية :

للهجرة الخارجية نتائج متعددة ومختلفة بتعدد واختلاف ظروف الأفراد المهاجرين والبيئات والمجتمعات المهاجر منها والمهاجر إليها .

(١) فالنسبة المهاجر نفسه ، يمكننا أن نلاحظ بصفة عامة أن الهجرة قد تؤدي بصفة مباشرة ، وغير مباشرة إلى زيادة كفايته الفنية والانتاجية ذلك لأن المفروض في المهاجر أنه يعمل على تحسين حالته بالنسبة لما كان عليه قبل مهاجرته ، وبذلك فهو يختار نتيجة تجربته الاجتماعية السابقة من الوسائل والسبل التي تمكنه من أن ينتج أكثر مما كان ينتج في موطنه الأصلي ، غير أنه لا شك أنه يواجه مشكلات اجتماعية من طبيعة اقتصادية وثقافية تستلزم تكيفه تكيفاً يلائم طبيعة الحياة الجديدة التي يقبل عليها ، خاصة إذا كانت بيئته الاجتماعية والثقافية الأصلية تختلف في نماذجها وأنماط الحضارية والثقافية عن البيئة التي هاجر إليها ، ومن هنا تنشأ عدة مشكلات اجتماعية تؤدي إلى قفكك في النظام العائلي ، أو في الجنوح إلى السلوك غير السوي أو إلى التفكك في التنظيم الاجتماعي بوجه عام . وقد عني بتتبع هذه الآثار الناجمة عن عدم استطاعة تكيف المهاجر ببيئة الاجتماعية الجديدة عدد كبير من علماء الاجتماع المعاصرين ، نخص منهم

بالذكر ما بيل اليوت M. Elliot^(١) ولويس ويرث L. Wirth^(٢) كما عالج كثير من العلماء موضوع تكيف المهاجرين للبيئات الاجتماعية المنتقلين إليها ، واختص بهذا اللون من الدراسة علماء الايكولوجيا^(٣) ، وفي مقدمتهم وليم توماس (W. Thomas)^(٤) ، وفلوريان زنانيكى F. Znaniecki ، وأديناريتش A. Rich^(٥) و باولين يونج P. Young فقد تتبع الأولان الجماعات البولندية الريفية التي هاجرت إلى أمريكا ، وبينما المشكلات الفردية والجماعات التي تعرضت لها في سبيل تكيفها بالثقافة الأمريكية ، كما عالج الثالث المشكلات الجارية الناتجة عن هجرات متتالية على الولايات المتحدة ، أما الرابعة فقد درست مشكلات فرقة دينية روسية هاجرت إلى لوس أنجلز الأمريكية ، وحاولت أن تحتفظ ميزاتها الثقافية الروحية في خضم صراعها من التراث الأمريكي المادى^(٦) .

وكذلك عن كل من ممفرد Mumford^(٧) وكاربنتر N. Carpenter^(٨) يبحث ما يتعرض له المهاجر من بيئة ريفية إلى مدينة حضرية على نحو ما يظهر في مؤلفيهما عن الأنماط الثقافية للبيئات المدنية .

(1) Mabel A. Elliott, and Francis E. Merrill, Social Disorganization.

(2) Louis Wirth, Culture Conflict and Delinquency, Social Forces, June 1937.

M. A. Elliott, opt. cit., Migration and Family Disorganization. ch. XXVIII. Migration 577 ff.

Migration and Suicide pp. 592 - 593.

(3) E. W. Burgess, "Accommodation" Encyclopaedia of the Social Sciences, vol II.

(4) Thomas, William, and Znaniecki, Florian, The Polish Peasant in Europe and America, N. Y. 1927.

(5) Rich, Adena M. : Current Immigration Problems, Social Service Review March 1947

(6) Young, Pauline V., The Pilgrims of Russian Town 1935.

(7) Lewis Mumford The Culture of Cities, 1938.

(8) Niles Carpenter, The sociology of city Life N. Y. 1931.

وإلى جانب هذه الدراسات المتخصصة في الآثار الثقافية للهجرات الخارجية ، نجد كثيراً من الدراسات العامة المتصلة بمشكلات الهجرة الاجتماعية وخاصة ما اتصل منها بمشكلة اللاجئين The Refugees على نحو ما قام به موريس دافى Maurice R. Davie عن اللاجئين في أمريكا^(١) ، ومشكلة اكتساب الجنسية Naturalization ، بالنسبة للمهاجرين ، وشروطها وقواعدها بالنسبة لمختلف البلاد والدول التي تستقبل مهاجرين بصفة رسمية أو بصفة عفوية ، ومن ذلك أيضاً الدراسات المتصلة ببيان آثار الهجرة من الناحية الاقتصادية ومن الناحية الدينية وخاصة على التنظيم الاقتصادي أو الهيكل الديني العام .

ولا يسمح المجال يسرد تفصيلي لهذه الجوانب المتعددة من الآثار الاجتماعية والثقافية للهجرات الخارجية الدائمة ، ولكن يكفي أن نشير بصفة عامة ، إلى أن الظروف التي تحيط بالأفراد والجماعات المهاجرة إلى بيئات اجتماعية غريبة عليها ، ظروف غاية في التعقيد وأبعد ما تكون عن البساطة .

وذلك نتيجة لازمة لاصطدام النماذج الثقافية التي ألفها المهاجرون في وطنهم الأصلي ، بالنماذج الثقافية الموجودة في المجتمع الجديد ، وتظهر آثار الهجرة بصورة واضحة في حالة ما إذا كان المهاجرون ينتسبون إلى سلالة من السلالات التي تعد نفسها أرقى من سلالة ذلك المجتمع أو كانوا قد بلغوا من المستوى الحضاري والثقافي ما لم يبلغه أفراد ذلك المجتمع المهاجرين إليه فإذا كان المهاجرون من ذوى المسكنة الاجتماعية العالية أو النفوذ المستمد من السلطان السياسي أو الغزو الحربي ، فإنهم قد يسيطرون على السكان الأصليين

(1) Maurice R. Davie, Refugees in America : N. Y. 1947.

(2) Harry Jerome, Migrations and Business cycles National Bureau of Economic Research N. Y. 1926.

على نحو ما لمسناه من آثار الهجرات الأجنبية في قطاعات كثيرة من الوطن العربي الكبير ، مما تزال أثارها واضحة في شمال أفريقيا العربية وخاصة الجزائر ، إذ أن الاستعمار الغربي قد مكن للمهاجرين الفرنسيين من أن يصبحوا أصحاب السلطة في البلاد وذلك عن طريق تمييز هؤلاء المهاجرين بحكم قانون الأحوال الشخصية الفرنسي وهذا هو الشأن بالنسبة لجميع المستعمرات الموجودة في القارة الأفريقية .

ويمكننا القول بصفة عامة أن المستعمرين الذين يزعمون نحو السيطرة يحاولون إقامة مجتمع غريب ، لا يُتاح للأهالي الأصليين الاندماج فيه رغم مقاومة هؤلاء له على نحو ما هو موجود الآن في جنوب أفريقيا وقد يسمح للأهالي الأصليين بالاندماج والزواج مع المهاجرين ، رغم اختلاف سلالاتهم ، على نحو ما هو ملوس في نيوزيلندا وأمريكا اللاتينية وأوكلاهوما^(١) ، وذلك بفضل العملية الاجتماعية المعروفة باسم انصهار السلالات Amalgamation^(٢) وفي الحالات التي يتفوق فيها المهاجرون تفوقاً ساحقاً عن السكان الأصليين ، فإنهم قد يعملون على التخلص منهم وإبادتهم كما حدث من المهاجرين البيض ضد السكان الأصليين في تسامانيا وفي بعض أجزاء ميلانيزيا وبعض الولايات الأمريكية على أننا إذا طرحنا جانباً تلك الآثار المترتبة على الهجرة التي توازرها القوة الغاشمة . ونظرنا إلى الهجرات الرتيبة التي لا يساندها هدف استعماري أو استغلالي نلاحظ أن الهجرة من الناحية القومية ، ومن وجهة النظر المحايدة ليست من المسائل التي يمكن الجزم بنفعها أو ضررها إطلاقاً ، إذا يجب أن ينظر إليها في كل أمة ، وفي كل عصر على حدة .

فثلاً كانت مهاجرة الإيرلنديين في النصف الثاني من القرن ١٩ ضارة

Pitt - Rivers, The clash of Culture and the Contact of Races

عن كتاب المجتمع . ما كيفر . ترجمة الدكتور على عيسى ص ٣٤٨ - ٢٠٨ .

(٢) انظر ما ورد بهذا الصدد في كتابنا العلاقات الاجتماعية .

بالنسبة لتلك البلاد ، إذ حرمتها من معظم رجالها الفنيين بسبب سوء نظام الملكية ، واضطراب حياة البلاد السياسية ، فعم الفقر البلاد وقتذاك . أما في إيطاليا فكان الأمر على عكس ذلك ؛ لأن مهاجرة السكان منها كان بمثابة صمام أمن خفف من ضغط السكان على المواد الغذائية ، وهذا يحول دون حدوث ما قد ينشأ عن ذلك من الاضطرابات الاجتماعية ، ويخفف من وطأة المناقشة بين العمال فيها ، بينما تتحسن حالة من هاجر من أهلها ، لأنهم يظفرون في البلد الذي ينزلون فيه بمركز أفضل وأجر أعلى .

هذا إلى أن المهاجر يظل محتفظاً بعلاقته بوطنه الأصلي ، فيرسل بالنقود من وقت لآخر إلى من تركهم وراءه من أهله وأقاربه ، كما أنه غالباً ما يعود إلى وطنه الأصلي حاملاً معه ثروته التي جمعها من تلك البلاد ، وحتى إذا لم يرجع ثانية إلى وطنه فإنه يظل زمناً طويلاً مروجاً لما تصدره بلده من المنتجات ، كما أنه قد يتهياً عن طريق المهاجرة إذاعة لغة وأفكار وآداب البلد المهاجر منها إلى البلد المهاجر إليها ، وتصبح الهجرة في هذه الحالة عاملاً هاماً من عوامل الدعوة والنفوذ في البلاد الأجنبية .

ومن ناحية البلاد المهاجر إليها ، قد تستفيد هذه البلاد من نزول الأجانب بأرضها عندما تكون بلاداً بكرأ تحتاج إلى الأيدي العاملة اللازمة لاستغلال مواردها الطبيعية ، فمن المحقق مثلاً أن الولايات المتحدة لم تكن لنستطيع أن تستغل مواردها العظيمة وتصبح في مقدمة المجتمعات الصناعية إذا لم تكن أوروبا على اختلاف أجناسها قد أمدتها بالملايين من العمال وخاصة الفنيين .

وحتى في بعض البلاد العريقة في المدنية ، نجد أنه في بعض الظروف ، ومن بعض النواحي أن مهاجرة الأجانب قد تكون مصدر خير لها ، إذا يحملون إليها علومهم وأفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم ، ومن أجل

هذا استقدم زراع من آسيا الصغرى لتعليم المصريين زراعة القطن ، وشجع كثير من العمال الأجانب على الإقامة في الأقاليم المصرية لإدخال بعض الصناعات الحديثة .

غير أن استيطان أجناس متباينة قد يصبح في أحوال كثيرة مصدر أضرار . فقد يترتب على كثرة عدد المهاجرين الأجانب تحول في الصفات الأصلية لأهالى ذلك البلد ، واضمحلال أو ضياع مميزاتهم الثقافية ، وفي هذا إضعاف لقوته المعنوية أو الحيوية . وبخاصة إذا كان المهاجر إليه من جنس أحط من سكانه الأصليين .

والمواقع أن المجتمعات أو بالأحرى الحكومات ، تمر بدورين إزاء استيطان السلالات الأجنبية المهاجرة إلى بلادها .

الدور الأول : هو إباحة ، بل تشجيع المهاجرين الأجانب كلما كانت الأحوال الاقتصادية تدعو إلى ذلك ، أو تسمح بذلك دون إضرار بالمصالح القومية ، ولا تزال بعض دول أمريكا اللاتينية والارجنتين والبرازيل تمثل إلا حد كبير هذا الدور ؛ لاحتياجها إلى الأيدي العاملة في استغلال ثرواتها الطبيعية .

أما الدور الثانى : فتوضع قيود على المهاجرة ، لتحضى الصفات الأصلية للأهالى ، أو لتحول دون امتزاج جنسها بسلالات تعتقد أنها أقل منها ، كما كان الشأن فى الولايات المتحدة من اتخاذ وسائل خاصة ضد المهاجرين الصينيين وضد الجنس الأصفر بوجه عام ، أو لتحول دون تسرب العناصر غير المرغوب فيها إلى داخل البلاد ، أو خشية منافسة الأيدي العاملة الأجنبية التى تفد إلى بلادهم ، وما يترتب على ذلك من هبوط الأجور ، ولهذا تتقف نقابات العمال فى المجتمعات الرأسمالية ضد دخول العمال الأجانب لحماية العمل الوطنى .

وإن شئنا أن نضرب أمثلة تطبيقية بالهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، يمكننا أن نستعين بما جاء بكتاب «المجتمع» لما كيفر وينج^(١) خاصا بالدراسات التي قام بها بعض العلماء الأمريكيين أمثال ميدرال C. Myrdal^(٢) ، وامبري E. R. Embree^(٣) ، وجونسون C. S. Johnson^(٤) ، وكثير غيرهم عن مشكلة امتزاج السلالات الملونة واختلاط الأجناس، وعن تمثل الثقافات بين المهاجرين، فن المعروف أن أمريكا قد استهدفت لمواجاة متتالية من المهاجرين الذين وردوا إليها من معظم بلاد العالم تقريبا، وقد حمل هؤلاء المهاجرون عاداتهم الاجتماعية، ونماذج مجتمعاتهم الثقافية، وأحكامهم التقديرية، وقد نشأ ولا شك نتيجة للهجرات الجماعية مشكلات تتصل بالتكيف الاجتماعي للحياة في المهجر الجديد وخاصة بين الفئات الاجتماعية المتباينة في صفاتها النوعية والسلالية.

وتدل الدراسات العلمية التي عالجتها هذا الموضوع على أن الانجليز والاسكتلنديين، قد أظهروا استعدادا أكثر من الفرنسيين للتكيف بالبيئة الاجتماعية الأمريكية، وبوجه عام لم يجد المهاجرون القدماء الذين هاجروا إلى أمريكا من دول جنوبي أوربا قبل عام ١٨٨٠ صعوبات كثيرة للتكيف مع البيئة الاجتماعية الجديدة؛ إذا قورنوا بالمهاجرين المهاجرين إليها من تلك الدول بعد تلك السنة وقد أدى ذلك إلى ظهور ظاهرة اجتماعية جديدة بالتسجيل ألا وهي أن هؤلاء المهاجرين قد اضطروا إلى تكوين «مستعمرات» تشبه الجماعات المحلية التي تمثل مراكز ثقافية مغلقة إلى حد ما، حيث

(1) Maclver, Robert and H. Page, Charles Community 1949.

ترجمه إلى اللغة العربية الدكتور علي عيسى .

(2) Myrdal, An American Dilemma N. Y. 1944.

(3) E. R. Embree, Brown American N. Y. 1943.

(4) C. S. Johnson, Patterns of Negro Segregation, N.Y. 1943.

راجع : The Segregation Issue of Survey Graphic January 1947

يتمسكون في نطاقها بأنماطهم السلوكية التي حملوها معهم من موطنهم الأصلية وأصبحت من المظاهر الديموجرافية الواضحة أن معظم المدن الأمريكية الكبيرة وكثيرا من المناطق الريفية تضم هذه الجماعات المحلية التي تتميز بطابعها البشري أو الثقافي ، ومن أمثلة ذلك تلك المستعمرات التي تتألف من الكنديين الفرنسيين الذين يعيشون في أحياء منعزلة في مدن ولاية نيويورك ، وكذلك الشأن بالنسبة للبولنديين الذين هاجروا إلى أمريكا والذين قد يبلغون ما ينوف على أربع ملايين ، منهم ١ مليون في شيكاغو ، وما يقرب من ٣٠٠ ألف في يثرويت ، وحوالي ٢٠٠ ألف في نيويورك ، هذه الجماعات تعيش في تماسك ووحدة مع بعضها وفي عزلة ثقافية عن العناصر الأمريكية فظلوا محتفظين إلى حد كبير بذاتهم الثقافية أكثر مما استطاعت بقية العناصر باستثناء المهاجرين الصينيين .

ولاشك أن هناك اختلافات في مدى استعداد العناصر المهاجرة لتمثل النماذج الثقافية في البيئات الاجتماعية التي تعيش أو تستقر فيها ، ولسنا هنا في مجال الاسباب عن عملية التمثيل الثقافي للمهاجرين المعروفة باسم Cultural Assimilation ، Acculturation ، فقد يخرجن هذا عن نطاق دراستنا الديموجرافية إلى الدراسات الانتوجرافية ، والانثولوجية والانثروبولوجية ، وإنما يكفي أن نشير إلى بعض الاتجاهات العامة التي تمثل المراحل الاطرادية المتتابة التي يمكن أن تمر بها العناصر وموقف السلطات الحاكمة إزاءها ففيما يتعلق بالهجرة إلى الولايات المتحدة مثلا كانت الحاجة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية ماسة إلى استجلاب وترغيب الملايين من المهاجرين وخاصة عندما كانت حدودها آخذة في الامتداد عبر القارة الأمريكية وعندما كانت هناك حاجة ملحة إلى قوة بشرية لاستغلال الموارد الأولية واستغلال أراضيها الشاسعة ، وكان اختلاف اللغة أو الدين أو السلالة أو الثقافة وغيرها من العوامل الاجتماعية المعوقة

للوحدة الاثنولوجية القومية ، لم يكن لها أهمية نسبية في الحد من عدد العناصر المهاجرة طالما كانت هذه العناصر ضرورية للتنمية الاقتصادية والصناعية والعمرائية . ثم ما لبثت أن أملت هذه الضرورة ذاتها وضع حدود وقيود على الهجرة ويكفي أن نقابل بين المزايا الكثيرة التي تمتع بها المهاجرون ، وبين الأضرار التي أملت بالمهاجرين الجدد بسبب تعيين معالم الحدود السياسية للولايات المتحدة وقيام مجتمع مستقر نسبياً فيما يلي عام ١٨٨٠ وأكثر من هذا يمكننا أن نشير إلى موقف التخوف من المهاجرين الأوروبيين عقب الحرب العالمية الثانية من حيث اعتبارهم عنصراً مهدداً للانعاش الاقتصادي الأمريكي (١) .

وقد أكرثت الولايات المتحدة من القيود التي توقف تيار الهجرة إليها حتى ذهبت في الأيام الأخيرة إلى تحديد نسبة مئوية من عدد الأجانب الذين يسمح لهم في نطاقها بالإقامة فيها ، وهذه النسبة تختلف من جنسية إلى أخرى فجعلت أعلى النسب للجنس النوردي من الانجليز الألمان ، وحاولت أن تقلل نسبة هجرة السلافيين واللاتينيّين وأضعفت تيار مهاجرة العرب والساميين . وإذا أردنا أن نتتبع الآثار الثقافية لهجرة بعض العناصر الغربية الأجنبية إلى البلاد العربية ، فإننا نجد أن هذا الأثر يختلف باختلاف كل ركن من أركان العالم العربي ، ففي بعض القطاعات العربية لم يكن لتلك العناصر الغربية آثار بعيدة المدى في الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية كما كان شأن الجمهورية العربية المتحدة بإقليميهما الشمال والجنوبي ، وفي بعض القطاعات تركت هذه الهجرة آثاراً إيجابية أثرت في الأوضاع السياسية والثقافية لتلك البيئات على نحو ما نلنسه في تونس والجزائر ، ومهما يكن من شأن هذا الأثر ، فإننا نلاحظ بوجه عام أن هذا الأثر يقوى ويشد كلما كانت الدولة في حالة تبعية سياسية ، ويبدو هذا واضحاً

(١) M.R. Davide, The Refugee Immigrant in the U. S. N. Y. 1946.

في مقارنتنا للوضع الحال بالجمهورية العربية المتحدة بالنسبة لوضعها السابق قبل ثورة التحرير التي استكملت مقومات الاستقلال لذلك القطاع من العالم العربي .

ففيما يتعلق بالقطاع المصري نلاحظ أن استيطان الأجناس الأجنبية فيه قد أدى أول الأمر إلى نوع من الاختلاط والتضارب في الثقافات ، فإذا نحن استبعدنا ما كان عليه التعليم الأزهرى والأولى ، وجدنا أن هناك صراعا بين التعليم الابتدائى والثانوى العام ، وبين التعليم الغربى ، بل إن التعليم الغربى كان منقسما على نفسه ، فكان هناك تنافس بين الثقافة الفرنسية في أقاليم مصر مثلا والثقافة الإنجلو أمريكية . وكانت تتمثل الثقافة الفرنسية في خريجي المدارس والمعاهد السوبيرية والفرنسية المنتشرة في الأقاليم ، وفي أعضاء البعثات الذين أرسلوا إلى فرنسا .

كما كانت تتمثل الثقافة الإنجلو أمريكية في خريجي الجامعة الأمريكية بالقاهرة وكلية أسيوط . وغيرها من المدارس والكليات للبنين والبنات ، وبين كليات جامعة القاهرة كان ما يتجه إلى إحدى هاتين الثقافتين دون الأخرى ، فالطب والهندسة كانت تميل إلى الثقافة الإنجليزية ، في حين أن الحقوق كانت تميل إلى الثقافة الفرنسية .

ومما هو جدير بالذكر أن مناهج الجاليات الأجنبية كانت تختلف إلى حد ما عن مناهج التعليم بالمدارس المصرية العامة ، وكانت إلى عهد قريب تعنى أولا وقبل كل شيء بثقافة البلاد التي تنتمى إليها ، وكان لهذا أثره ولاشك على الطلبة المصريين العرب الذين يقدر لهم الالتحاق بهذه المدارس ، وكانوا يمثلون إلى حد كبير طبقة منفصلة عن مثيلاتها من طبقات الشعب الذين ربوا تربية وطنية قومية ، ولكن بالرغم من ذلك لا يمكننا الجزم بأن أثر هذه الثقافات قد تعدى حدود القومية ، أو أثر على ^{البرية} النهضة الوطنية . وربما يرجع ذلك إلى أصالة ^{النهضة} النهضة الوطنية في العنصر المصرى العربى ، وقد تنبه أولو الأمر

إلى أن اختلاف الثقافات قد يؤدي إلى اختلاف الميول والنزعات ، وتباين التعاطف الوجداني ، فقد لوحظ أن بعض المصريين كانوا يميلون إلى الثقافة الفرنسية والأدب الفرنسي ، ويتشبهون في حياتهم وعاداتهم بالسائد عند الفرنسيين ، ومنهم من يظاهر الثقافة الإنجليز أمريكية ، والأدب الأنجليزى . هذا في حين أن الغالبية العظمى من الشعب لا تستسيغ إلا ما هو شرقي عربي ، بالرغم من تأثر الذوق العام إلى حد ما بالعناصر الأجنبية ، سيما في الموسيقى وفي الملابس ، وفي فن العمارة والهندسة .

كذلك قد تؤثر الثقافات الغربية في مرافقنا إزاء بعض المشكلات القومية المحلية ، ومن تلك المشكلات العائلية .. والنفور من الطلاق وتحديدده ، والمرأة وإباحة الفرص المتكافئة لها للعمل ، والتعليم المختلط بين البنين والبنات . وحقوق المرأة السياسية ، فقد سائر الإقليم المصرى في كثير من هذه الموضوعات المجتمعات الغربية ، على أن ذلك ليس من شأنه أن يفقد المجتمع المصرى شخصاته الذاتية ، إذ أن هذه المسيرة لا تعدو أن تكون خضوعا ومجاراة لسنة التطور ، مع الاستفادة بفرص اختلاط الثقافات ، واحتكاك الحضارات .

والواقع أن ما نلنسه الآن في عهد الانتقال ليس إلا صراعا بين الرجعية المنتكسة والمتمسكة بأهداب القديم دون فهم أو مرونة كافية لتقبل النيارات الاجتماعية الجديدة ، وبين الطليعة التقدمية التي تحاول أن تصل الماضي بالحاضر ، وأن تجعل من الثقافات المتضاربة والمتعارضة وحدة متفاعلة منصهرة مع الأنماط الثقافية الأصلية .

وقد أدى الاعتداء الثلاثي العاشم على القطاع المصرى من دول إنجلترا وفرنسا وإسرائيل في نوفمبر سنة ١٩٥٦ إلى تمصير وتعريب التعليم الأجنبي في إقليم مصر ، وإشراف وزارة التربية والتعليم على جميع المدارس الأجنبية ، ونجحت بعض مؤسسات التعليم القومية الحرة في سد الفراغ الذى كان يعاني

منه قطاع التعليم العام ونهيات السياسة التعليمية الديمقراطية التي تقضى على الفوارق الثقافية النوعية .

وبذلك تجنبت البلاد رواسب الثقافات الاستعمارية المعرضة والتعصبية والمتحيزة لأنماطها الأصلية المستوردة .

ومن ناحية أخرى يمكننا أن تتبع أثر هجرة القبائل العربية من الناحية الثقافية في نشر اللغة العربية فنزوح السلالات العربية ، من مواطنها الأصلية في الجزيرة العربية إلى أجزاء الوطن العربي الكبير في إفريقية ، واختلاط تلك العناصر العربية بسكان تلك البلاد الأصليين ، كان له أثر واضح في نقل الملامح العربية والسمات البدوية إلى السكان ، ويبدو ذلك بوضوح في السودان حيث تأثرت قبيلة البجة بمن جاورها من عرب الكواهلة عن طريق النسب والمصاهرة ، وكذلك تأثرت العناصر الزنوجية بالدماء العربية سواء كان ذلك في السودان أو شرق إفريقية . وبالمثل حدث مثل ذلك للبربر في شمال إفريقية عندما اختلطت بهم القبائل العربية .

كذلك نقل هؤلاء المهاجرون العرب إلى تلك الأقطار الممتدة ، سواء كان ذلك في القديم أو في الحديث كثيرا مما حملوه من عاداتهم وتقاليدهم ومستويات ثقافتهم وأدوات حضارتهم ، وتم كل ذلك عن طريق الاختلاط والتصاهر والجوار . ولم يمض وقت طويل حتى امتزجت تلك السلالات العربية بسكان البلاد النازحة إليها ، ولسكن الامتزاج كان أفصح في أماكن الاستقرار في القرى والمدن وفي السهول الخصبة ، ولقد انطبع العرب أيضا بعد استقرارهم في تلك الديار بعادات أهلها وتقاليدهم في المأكل والمشرب وأدوات العمل ، وطرق الحياة المختلفة . بيد أن العرب الضارين في الصحراء ظلوا على بداوتهم - إلى حد كبير - يحتفظون بأنسابهم الأولى وتسيطر عليهم تقاليد الصحراء ، ويحكمهم قانون القبيلة ، وحرقتهم الرئيسة الرعى ، وإن كانوا يزاولون الزراعة أحيانا .

وعمل هؤلاء البدو المهاجرون على نشر اللغة العربية أينما حلوا ، وإن كان ذلك يتوقف إلى كبير على عددهم ، ومقدار مكثهم في المواطن الجديدة ومدى استجابة تلك المواطن لما يحمله العرب من عناصر اللغة كما كانت تلك العناصر القوية عوامل فعالة في نشر الدين الإسلامي ، ومساعدة الجيوش العربية الزاحفة مع الفتح الإسلامي .

وكانت أهم القبائل أثرا في حياة الأمة العربية ، وألمع ظهورا في تاريخها تلك القبائل التي أتت مع الفتح الإسلامي للبلاد المختلفة ، وما كان لها من عظيم الأثر في نشر لغة العرب في تلك البلاد المفتوحة وصبغها بالصبغة العربية . وكانت أهم الهجرات العربية هي هجرة قبائل البدو عقب وفاة الرسول (ﷺ) . ففي مدى عشرات من السنين حملت قبائل البادية في غزوات الفتح لهجاتها إلى سائر أرجاء الوطن العربي . فلم تسكد تمضي مائة عام على وفاته حتى امتدت الدولة إلى سفوح البرانس في المغرب ، وإلى أواسط آسيا . وهذا النفوذ للغة العربية في مناطق كانت تتوطنها لغات أخرى ، لم يكن لير عليها دون تأثير أو تغيير . ولقد احتفظت كثير من القبائل البدوية في البلدان التي استولت عليها بطريقة حياتها الخاصة ، وحافظت بذلك على سلامة لهجتها وخلوصها ، ولهذا كان لا يزال يمكننا في أوائل العصر العباسي أن نجد المرء من جنوب البرتغال في الغرب إلى خراسان في الشرق قبائل عربية ، وأن يسمع من فيها عربية بدوية خالصة لا تشوبها عجمة . وأستطيع أن أذكر في إيجاز العوامل التي ساعدت على انتشار العربية ، في البلاد الإسلامية ، فيما يأتي : -

- (١) محافظة كثير من القبائل العربية في مواطنها الجديدة على أسلوب حياتها الخاصة ، لحافظت بذلك على سلامة لغتها .
- (٢) بعث عهد الفتح روحا من القوة في صميم العربية ، وعمل على توحيد لهجات البدويين أنفسهم .

(٣) السياسة الاجتماعية التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب ، عمات على توحيد اللغة ، وإنشاء لسان مشترك بين قبائل البدو ، كما حفظت العربية من الاضمحلال والانحلال ، فلما يحفظ عمر العرب من التلاشي في الجماهير المغلوبة ، والتي تفوقهم عددا ، حرم عليهم أن يمتسكوا الضياع في الأقاليم الجديدة كما جعلهم بمعزل عن المدن الكبيرة في البلاد المفتوحة ، ماعدا سورية التي كانت قد استعربت إلى حد كبير قبل الإسلام بواسطة القبائل العربية التي هاجرت إليها ، فأسكنهم في معسكرات من الخيام كانت نواة للمدن التي نشأت فيما بعد ، كالבصرة ، والكوفة والفسطاط .

(٤) استعراب وإسلام الطوائف التي دخلت من العبيد والخدم والتجار والصناع . . . إلخ ، والجماعات التي وقعت في الأسر أثناء الفتح دخلت معسكرات الفاتحين وبيوتهم ، هؤلاء وأولئك وجدوا أنفسهم فجأة متغلبين في جولة عربية ، فاضطروا إلى استعمال لسان السادة ولهجتهم . هذا ولم تكن هناك لغة واحدة من التي لقيها العرب في عهد الفتح ، محتفظة بنظام تصريفها ، كل ذلك أدى إلى ضرورة التفاهم مع العرب باستعمال لغتهم ، ومن هنا بدأ كثير من اللحن يدخل في العربية ، ولكن بالتدريج نشأت لغة مولدة فيها بعض الخلط ، وبذا أخذت اللهجات في الظهور ، والاختلاف باختلاف الأقطار المفتوحة .

(٥) وفي الثلث الأخير من القرن الهجري الأول قد أخذ نحو العربية المولدة حدا لم تتوقف فيه الأخطار اللغوية عن الظهور حتى في الدوائر الأولى في المجتمع العربي . لذلك قامت حركة ضد فساد اللغة ، ونشأ مبدأ تنقية اللغة العربية الذي حمل راية المحافظة على خلوص اللغة .

(٦) وبرهن الأمويون على أنهم حماة المبادئ العربية ، بالتزامهم أصول اللغة في سائر شئونهم ، وخاصة عبد الملك ابن مروان ، الذي كان يحذر أبناءه من اللحن ، ولم يستعمل هو صيغا ملحونة حتى في المزاح .

وكذلك الخليفة عمر بن عبد العزيز .

(٧) ظهور طبقة الموالي وطموحهم إلى محاكاة الطبقة صاحبة السيادة فيما تفعل ، فاحتضنوا أيضا مبدأ تنقية اللغة .

(٨) صارت لغة القرآن في شعور كل مسلم - أيا كانت لغته الأصلية - جزءا لا ينفصل من حقيقة الإسلام .

(٩) ولقد تم تعريب سورية عن طريق العربية التي هاجرت إليها قبل الفتح الإسلامي . أما في مصر فقد رجحت لغة العربية في القرن الثالث ، على حين تراجعت القبطية إلى سهول الريف حتى تلاشت في القرن السادس الهجري تماما^(١) . أما ليبيا فقد تم تعريبها على يد قبائل بني سليم ، وبني هلال في أواسط القرن الخامس الهجري .

ولم يقتصر أثر الهجرة العربية على مجموعة الوحدات التي تمثل اليوم أركان العالم العربي الذي يمتد من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي ، وإنما تعدى هذا الأثر إلى التغلغل الثقافي والاتو جرافي في شعوب أفريقيا التي تمثلها الآن القوميات المتبلورة في نيجيريا وغانا والكمرون وساحل العاج فإذا استعرضنا التطور التاريخي للأمبراطوريات التي نشأت في غرب أفريقيا وجدنا أن هناك رابطة قوية بين اتجاه الحضارة في تلك الجماعات وبين حضارة ومدنية العرب ، ويوضح ذلك المتتبع لانتشار العقيدة الإسلامية في أربع دول : أمبراطورية غانة ، وأمبراطورية غينيا ، وأمبراطورية سنغاي ، ومملكة بورنو من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر ولا زالت العقيدة الإسلامية وموجودة في تلك البقاع بل أن نسبة عدد المسلمين إلى الوثنيين في بعض الجهات تمثل الغالبية العظمى من السكان على نحو ما توضحه الإحصائية التالية رقم (١) .

(١) العربية ، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب . تأليف يوهان فوك «Johann Fück» ونقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار . القاهرة سنة ١٩٥١ . (ص ٢٢) .
(١٣ المكان)

إحصائية رقم (١)

توضح عدد السكان وعدد المسلمين وعدد الوثنيين ونسبة المسلمين إلى عدد السكان .

الإقليم	مجموع السكان	عدد المسلمين	عدد الوثنيين	المسلمين %
موريتانيا	٠,٥١٨,٠٠٠	٠,٥٠٠,٠٠٠	٠,٠١٨,٠٠٠	٪ ٩٩
السودان الفرنسي	٤,٤٦٩,٩٠٠	٣,٢٠٠,٠٠٠	١,٢٦٩,٩٠٠	٪ ٧٥
تشاد	٣,٥٠٠,٠٠٠	١,٤٠٠,٠٠٠	١,١٠٠,٠٠٠	٪ ٦٥
منطقة النيجر العسكرية	٢,٠٢٩,٠٠٠	١,٨٠٠,٠٠٠	٠,٢٢٩,٠٠٠	٪ ٨٥
السنغال	٢,١٠٨,٢٠٠	٠,٧٥٠,٠٠٠	١,٣٥٨,١٩٥	٪ ٨٠

L' Islam Dans L'A. O. F., Paris, 1952

ومن الطبيعي أن يتبع إنتشار الإسلام ، انتشار اللغة العربية أو بعض مفرداتها ، وتظهرنا الإحصائيتان رقم (٢) ، (٣) على مدى تغلغل اللغة العربية قبل الاستعمار وبعده في تلك الجهات هذا فضلا عن الأثر الاثنولوجي الذي توضحه الإحصائية رقم (٤) في تركيب سكان بعض المناطق الأفريقية .

إحصائية رقم (٢)

توضح نسبة الألفاظ العربية المستعملة في أوجه الحياة المختلفة قبل الاستعمار مباشرة .

الرقم النسبي لمجموع ألفاظ اللغة .	الدين	القضاء	التعليم	النشر	المعاملات
١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
عدد ألفاظ اللغة العربية نسيا .	٩٠	٨٥	٧٤	٦٩	٦٥

L' Islam noir, Paris, 1924.

إحصائية رقم (٣)

توضح نسبة الألفاظ العربية المستعملة في أوجه الحياة والألفاظ الأوربية بعد الاستعمار .

المعاملات	النشر	التعليم	القضاء	الدين	
١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	الرقم النسبي لمجموع ألفاظ اللغة .
٦٢	٥٠	٥٠	٢٠	٨٠	عدد الألفاظ العربية نسبيا .
١٠	٥٠	٥٠	٨٠	١٥	عدد الألفاظ الأوربية نسبيا .

L'Islam Noir, Paris, 1924.

إحصائية رقم (٤)

توضح عدد السكان الأصليين وعدد السكان العرب وعدد المستوطنين الأوربيين .

الإقليم	مجموع السكان	السكان الأصليون	السكان العرب	السكان الأوربيون
موريتانيا	٠,٥١٨,٠٠٠	٠,٤٣٠,٠٠٠	٠,٠٨٠,٠٠٠	٠,٠٠٨,٩٠٠
السودان الفرنسي	٤,٤٦٩,٩٠٠	٤,٠٠٠,٠٠٠	٠,٤٥٠,٠٠٠	٠,٠١٩,٠٠٠
تشاد	٢,٥٠٠,٠٠٠	٢,٠٠٠,٥٠٠	٠,٤٣٠,٠٠٠	٠,٠٦٩,٥٠٠
منطقة النيجر العسكرية	٢,٠٢٩,٠٠٠	١,٥٠٠,١٠٠	٠,٤٩٠,٠٠٠	٠,٠٤٠,٠٠٠
السنغال	٢,١٠٨,٢٠٠	٢,١٠٨,٢٠٠	٠,١٠٠,٠٠٠	٠,٠٠٨,٠٠٠
المجموع	١١,٦٢٥,١٠٠	٩,٥٣٨,٨٠٠	١,٥٥٠,٠٠٠	٠,١٤٤,٥٠٠

L. Islam Dans L. A. O. F. Paris, 1922.

ومن نافذة القول أن نقرر أن أثر الهجرة العربية إلى تلك المجتمعات قد قصر على انتشار الديانة الإسلامية واللغة العربية وإقامة جماعات اثنولوجية مستعربة ، وإنما امتد هذا الأثر إلى فن العمارة ، فإن مدن تمبكتو ودكار وآبسن تظهر وكأنها مدن عربية في آثارها وقصورها وأسواقها ودور العلم بها والمظاهر الاتنوجرافية التي تنعكس في أدوات الصيد ووسائل النقل أدوات ووسائل عربية منها السهم والقوس للصيد والسيوف والدرع في الحرب والجمال للانتقال ، وبقية المظاهر الثقافية المادية الأخرى ، مما لا يجعل مجالا للشك في أن الهجرة العربية تعتبر أهم العوامل الديموجرافية أترأ في النواحي الثقافية لتلك المنطقة ، ومن ثم فإنه يحق للدارسين العرب النظر إليها في ضوء هذه الحقائق الاثنولوجية والديموجرافية والحضارية^(١) .

ونظراً لأننا نعلق أهمية خاصة لآثار الهجرة العربية إلى القارة الأفريقية ، باعتبار أن هذه المسألة تبرز ناحية هامة من النواحي التي تقرب إلى الأذهان الوحدة الاثنولوجية الأمة العربية ، فقد آثرنا أن نخصص الفصل التالي لعلاج هذه الظاهرة الديموجرافية الهامة .

(١) لاستيفاء هذا الموضوع الجوى ننصح بالاستزادة من المراجع الآتية :
الدكتور حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى وشرق القارة الأفريقية وغربها القاهرة ١٩٥٧ .

هزة النصر : محاضرات في جغرافية المغرب العربي ، معهد الدراسات العربية .
Couilly, L'Islam dans L' A. O. F., Paris 1952.
Gurther, I, Inside Africa, 1956.
Marty, P., Etudes sur L'Islam et les Tribus du Soudan.